www.awu.sy

الأسبوع الأدبي

الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

الأسبوع الأدبي - "السنة الثلاثون" العدد: "1526" الأحد 29/1/2017م - 30ربيع الثاني1438هـ | 16 صفحة | 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

•أ.د.نضال الصالح

الافتتاحية

في مديح الاختصاص

منذ نحو عقدين، وفي غير جامعة عربيّة، لا ينتمي سوى القليل، أجل القليل، من البحوث الجامعية في مرحلتيّ الماجستير والدكتوراه إلى قيم البحث العلميّ وتقاليده وقواعده وأصوله، بينما الكثير، أجل الكثير أيضاً، أحد ثلاثة: إمّا منهوبٌ من جهود الآخرين من دون أدنى حياء أو خجل أو احترام للذات وللآخر، وإمّا لا يتجاوز كونه إعادة قول فيما قيل، وإمّا بوصفه ملصقات من هذا الكتاب أو ذاك.

وإذا كان من أسباب ذلك أنّ النهّابَ، أو الردّاد، أو اللصّاق، لا يعنيه من أمر النهب، أو الاجترار، أو القصّ واللصق، سوى الشهادة الورقيّة فحسب، وبوصفها ضرورة فحسب لتحقيق هذا الامتياز أو ذاك، فإنّ من أسبابه أيضاً، بل لعلّه السبب المركزيّ في حال الخراب الذي انتهت إليه الدراسات العليا في معظم جامعات الوطن العربيّ، أنّ بعض أعضاء هيئة التدريس الذين يشرفون على تلك الرسائل أمّيّ، أو يكاد يكون يكون أميّاً، في موضوع الرسالة أو الأطروحة، لتوهّمه أنّ اختصاصه العام في الأدب الحديث مثلاً يمنحه حقّاً في الإشراف على أيّ بحث مهما يكن من أمر الجنس الأدبيّ المعنيّ به، قصة، ورواية، وشعراً، ومسرحاً، ونقداً، وأدبَ أطفال، وأدباً شعبياً، و... ولتوهمّه أيضاً أنّ بلوغه مرتبة «أستاذ» يكفيه للإشراف على أيّ بحث مهما يكن من أمر فقره المعرفيّ في موضوعه من جهة، ومن أنّ معارفه فيما يعني مصادره ومراجعه لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة من جهة ثانية.

لقد تطوّرت المجتمعات المتحضرة لتقديرها قيمة الاختصاص، بل على نحو أدقّ قيمة اختصاص الاختصاص، أي الاختصاص الدقيق، على حين أنّ المجتمعات المفوّتة حضارياً لمّا تزل مستغرقة في أوهام الذات العالمة بكلّ شيء، شأنَ الراوي العالم بكلّ شيء في السرود التقليدية، أو ما يصطلح علم السرديات عليه بـ«الإله الخفيّ».

وأمثلةٌ فحسب لما تعدّدَ، وتكاثرَ، وتناسلَ، من تلك الأوهام، أو «الآلهة الخفيّة»، في الجامعات العربية، ومنها جامعاتنا، تضيق بها صفحات، ومن تلك الأمثلة في إحدى جامعاتنا أطروحة للدكتوراه حول القصة العربية، أجل القصّة العربيّة كلّها، لا يمكن للمشرف نفسه عليها أن يسمّيَ أكثر من خمس مجموعات قصصية، أو أكثر من خمسة من كتّاب القصة العرب وكاتباتها، ومنها أيضاً رسالة ماجستير عن المنهج الأسطوريّ في النقد الأدبيّ لا يستطيع المشرف عليها تسمية اثنين أو أكثر قليلاً ممّا سبق في مجالها، أو ممّا يتصل بنسب إلى المناهج النقدية عامّة، لا المنهج الأسطوريّ وحده.

وما مِن شكّ في أنّ أوهاماً كتلك كانت سبباً في تخمة مكتبات الجامعات برسائل وأطروحات لا قيمة لها، وفي بقاء الكثير منها حبيس تلك المكتبات، بل حبيس رفوفها على نحو أدقّ، منذ أن استقرّ فيها أوّل مرّة، كما كانت سبباً في تورّم المجتمعات العربيّة بحمَلَة شهادات عالية، حمَلَة شهاداتٍ فحسب، بدلاً من أن تتورّدَ عافيةً بباحثين، باحثين حقيقيين، وبدلاً من أن تتعافى من حال الفوات الحضاريّ، التي تعوّق حركتها، وتزيد في أغلال العطالة الكابحة لتطوّرها، وبدلاً، أخيراً، من أن تبدع بعضَ ما يجعلها لائقة بالعصر الذي تنتمي إليه.

وبعدُ، فإنّ أطروحة ابن خلدون في الثقافة، أي تعريفه لها بأنّها الأخذ من كلّ علم بطرف، ابنة شرط تاريخي معرفيّ تفصلنا عنه مئات السنوات، وهي تتضاد تماماً مع ما شهده الربع الأخير من القرن العشرين والسنوات الفائتة من هذا القرن ممّا اصطلح عليه بالانفجار المعرفيّ الذي يتطلّب كلّ حقل من حقوله مؤسسات كبيرة، بل إنّ كلّ جزئية منه تتطلّب غير مؤسسة بنفسها.

وبعدُ أيضاً، وقبلُ، وأبداً: حبلُ الزيف قصير.

المخابرات المركزية ورواية "دكتور جيفاغو"؟!

•د. خلف الجراد ـــ ص 2

الكلمة فعلٌ لا قول

• د. اسكندر لوقا ـــ ص3

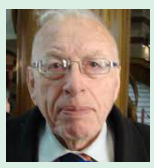

مستقبل الوطن العربي في بعده الوحدوي

• د. سليم بركات ـ ص 4

سورية وفلسطين

•نبيل فوزات نوفل ـ ص6

مشروع سايكس-بيكو الجديد والقضية الفلسطينية

بحضور الأستاذ الدكتور نضال الصالح رئيس اتحاد الكتاب العرب عُقدت ظهر الأربعاء 2017/1/18 فعاليات الندوة السياسية التي حملت عنوان (مشروع سايكس-بيكو الجديد والقضية الفلسطينية) في مبنى اتحاد الكتاب العرب بالمزة بدعوة من اللجنة السورية- الفلسطينية المشتركة لمواجهة مئوية وعد بلفور المشؤوم واللجنة الشعبية العربية السورية لدعم الشعب الفلسطيني واتحاد الكتاب العرب وتحالف فصائل الثورة الفلسطينية.

أدار الندوة الإعلامي علي القاسم رئيس تحرير جريدة الثورة وشارك فيها المهندس كمال الحصان والمهندس خليل خالد.

وقد أشار المهندس كمال الحصان إلى أن مخطط سايكس-بيكو الجديد هو استكمال للمخطط القديم فأصحاب المصلحة هم أنفسهم وأهدافهم واحدة، والهدف الأساسي هو تدمير الأمة العربية وإخراجها من التاريخ لبضعة قرون أخرى، وذلك من أجل مصالح الصهيونية المارقة والمتوحشة وإشعال نار لا تنطفئ في المنطقة بالإضافة لمصلحة غربية خفية وهي التخلص من اليهود في أوروبا وهذا هدف غربي قديم وخفي، مؤكداً أن سورية هي حارسة القضية الفلسطينية وحاميتها وهي صاحبة القضية، وهي ليست مجرد حليف أو داعم، والحرب على سورية يمكن أن تتوقف خلال ساعات فقط إذا أعلنت سورية أنها تتخلى عن فلسطين...

بدوره أشار المهندس خليل خالد ضمن مناقشته لموضوع سايكس-بيكو الجديد إلى أن العدو الصهيوني يدرك أن القوى الأساسية في الأمة العربية هي سورية ومصر والعراق لذلك يسعى إلى إضعاف جيوشها وحرق عواصمها مدعوماً بقوى أمريكية وأوروبية لإعادة تشكيل المنطقة وفرض هيكليات جديدة تنسجم مع طروحات إقامة الدولة اليهودية ، مؤكداً أن سايكس-بيكو الجديد هو مشروع قائم ضمن مشروع الهيمنة على المنطقة ومقدراتها وأصحابه مستعدون للمضي قدماً فيه سعياً لتقسيم جديد للمنطقة وتجزئة المجزأ، الأمر الذي يتطلب منا كعرب تبني المشروع القومي العربي الذي يواجه المشروع الصهيوني، طالباً في المقابل من الأشقاء الفلسطينيين المصالحة وتجاوز حالة الانقسام واعتماد المقاومة سبيلاً لتحرير فلسطين وتعزيز صمود الشعب الفلسطيني من خلال تأمين مستلزمات الصمود ومطاردة وملاحقة العدو الصهيوني في المحافل الدولية، حيث لا يمكن لسايكس-بيكو جديد أن يتحقق إذا تجذرت حالة المقاومة واعتمدت منهجاً للمقاومة.

وأكد القيادي الفلسطيني خالد عبد المجيد أمين سر تحالف قوى المقاومة الفلسطينية في مداخلة له أن الفلسطينيين جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ينهض بنهوضها ويتراجع بتراجعها، وما يخطط له من سايكس- بيكو جديد في المنطقة هو محاولة لتمرير مشروع جديد من البوابة الفلسطينية بعد تعثر مشروع الشرق الأوسط الجديد الإجرامي.

وأشار الشاعر خالد أبو خالد إلى أن ما يحدث في البلاد العربية من خراب وتدمير ودماء ووحشية، إنما يتم بتوجيه من الولايات المتحدة، وينفذ بأيدي عملائها في المنطقة، وأن ما سمي بالسلام أكذوبة، وأنه لابدّ من المقاومة وملاحقة العدو في كل مكان؛ وعلى العرب أن يتضامنوا مع سورية لأنها هي قلب العروبة النابض، وهي عنوان الشرق، وبيت القومية العربية.

المخابرات المركزية ورواية "دكتور جيفاغو"؟!

• د. خلف الجراد

عندما كانت وسائل الإعلام السوفيتية تردد اتهاماتها على مدى أكثر من ثلاثين عاماً (بين عامي 1960 و1990) بشأن تبني «وكالة المخابرات المركزية»الأميركية (cia) لرواية الكاتب الروسي بوريس باسترناك (دكتور جيفاغو) ونشرها على مستوى العالم، ومن ثم العمل على منحه جائزة نوبل في الأدب عن هذه الرواية في عام 1958، كان الرد النمطي الجاهز على ذلك يأتي كما يلي:

ما يقال في هذا السياق كله "بروباغندا" شيوعية، فجائزة نوبل حرّة تماماً، وليس لأية جهة أو منظمة أمريكية أو غيرها أي دور أو تأثير على إعطائها أو حجبها.." ولكن الصحفي ومؤرخ ومعد البرامج الإذاعية والتلفزية "السيناريست" الروسي المعروف " إيفان نيكيتيش تولستوي" (حفيد الكاتب والشاعر السوفييتي أليكسي نيكيتيفتش تولستوي)، الذي سافر في عام 1988 إلى فرنسا واشتغل هناك في عدد من المجلات الروسية المهجرية لغاية عام 1993، ثم عمل أيضاً في "راديو الحرية" في "براغ" و"ميونخ"، استطاع الحصول على نسخة روسية من هذه الرواية الإشكالية (التي كانت محظورة في العهد السوفييتي)، وصار لديه ما يشبه القين أن ماكانت تكرره وسائل الإعلام السوفييتية بخصوصها أمر صحيح. وبناء على ذلك قرر " إيفان تولستوي" متابعة الموضوع، وتفحص جميع الخيوط والدلائل، التي تكشف ملابسات وقصة هذه الرواية منذ صدورها في عام 1957، ومنح كاتبها جائزة نوبل في الآداب عام 1958، وتحويلها إلى فيلم سينمائي في عام 1965.

ونتيجة لتقصيه الطويل في عدد من العواصم الغربية وجد إيفان تولستوي أن القصة تبدأ عند المخابرات البريطانية التي رأت في رواية باسترناك فرصة مناسبة لضرب الاتحاد السوفييتي في مقتل، لما لها من قيمة دعائية، حيث تمثل اتجاهاً معاكساً تماماً للأيديولوجيا الشيوعية الاتحاد السوفييتي وتيار الواقعية الاشتراكية الذي كان سائداً حينذاك، حيث أرسلت المخابرات البريطانية رسالة لنظيرتها الأمريكية مع نسخ من الرواية واقترحت نشرها على نطاق واسع في روسيا ودول الكتلة الاشتراكية. وقد لقيت الفكرة قبولاً قوياً لدى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، التي قررت بدء العمل فوراً بتنفيذ خطة نشر الرواية وترويجها، ليس داخل دول الكتلة الاشتراكية فقط، وإنما على نطاق أوسع بعد ترجمتها إلى عدة لغات أجنبية، ما يتيح فرصاً أكبر لتشويه الاتحاد السوفييتي على أوسع حيّز عالمي ممكن.

في إطار تتبعه لقصة انتشار الرواية وبحثه عن حقيقة اللغط المثار حولها، وعندما كان إيفان تولستوي يعمل في "راديو الحرية" بـ ميونيخ" (ألمانيا) التقى بـ "غريغوري دانيلوف" المحرر في الاتحاد المركزي لهاجري ما بعد الحرب"، وهو فرع أوروبي لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، حيث ذكر "دانيلوف" أن الرواية كانت واحدة من "المشاريع" المهمة للاتحاد. وأكد أن مخطوط الرواية تم تسريبه من خلال القنوات الخلفية التابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وبعد أن قضى إيفان تولستوي ما يقرب من العقدين من السنين، متجولاً ومشتغلاً في عدد من دول العالم الغربي، وإجرائه عشرات المقابلات واللقاءات مع أشخاص ربطتهم صلات مختلفة مع الروائي الروسي بوريس باسترناك مؤلف الرواية، قرر (إيفان تولستوي) في كانون الأول 2006 أنه أصبح ممتلكاً ما يكفي للإعلان عن الحقائق التي توصل إليها بشأن هذه الرواية. وفي محاضرة ألقاها بمكتبة موسكو للآداب الأجنبية، أكد إيفان تولتستوي أن المخابرات الأمريكية والبريطانية وقفتا خلف مشروع الترويج لرواية باسترناك (دكتور جيفاغو)، وأن المخابرات المركزية الأمريكية نشرت النسخة الروسية تحديداً لاستكمال

مسوغات ترشيح باسترناك لجائزة نوبل، ومن ثم فوزه بها عام 1958. ورفضت المخابرات الأمريكية حينها التعلق على هذا الكشف (موقع وكالة " سبوتنيك" الروسية – ثقافة، 2015/10/11).

لكن ما أكد صحة استنتاجات إيفان تولستوي هو الكتاب الذي أعده وأصدره في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 2014 كل من الباحثة الروسية " بيترا كوفي" والصحفي في جريدة "واشنطن بوست" "بيترفن" بعنوان (قضية جيفاغو: الكرملين والسي أي إيه والمعركة حول الكتاب الممنوع)، وذلك استناداً إلى وثائق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي رفعت عنها السرية. حيث بينت الوثائق المفرج عنها والتي استند الكتاب إليها الطرق والأساليب التي روجت بها وكالة المخابرات الأمريكية للرواية، وكيف رتب الأمر لإصدار النسخة الروسية لها في هولندا، ثم توزيعها وتعميمها في" معرض الكتاب العالمي ببروكسل"، في جناح الفاتيكان، وتقديم عشرات النسخ منها مجاناً للزوار الروس لهذا الجناح، وكيف أن فيق المخابرات المركزية الأمريكية المكلف بعملية الترويج للرواية، بقيادة "جون موري" ركز على رسالة باسترناك التي تقوم على حرية الفرد في تقرير مصيره والتمتع بحياته الخاصة بعيداً عن تدخل الدولة بشؤونه. وكل ذلك يتفق مع الاستقصاءات والاستنتاجات التي توصل إليها المحرر الإذاعي والتلفزيوني ومؤرخ الأدب إيفان تولتسوي.

وقد ذكر مؤلفاً الكتاب، (استناداً للوثائق الأمريكية الرسمية المفرج عنها والمؤيدة بشهادات أقارب باسترناك وأصدقائه الأحياء) أن عميلاً للمخابرات البريطانية هرب صورة فوتوغرافية من نص الرواية، وأدعه باسترناك لدى مجموعة من الأجانب كانوا في زيارة له، بعد تأكده رفض السلطات السوفييتية نشر الرواية، ومن ضمن هؤلاء الناشر الإيطالي " جيا نجياكو فيلترنيلي"، كما تعمد باسترناك إعطاء نسخ من روايته لمحاضرين في جامعة أوكسفورد البريطانية، هما المنظر الاجتماعي – السياسي والفيلسوف الروسي- البريطاني المعروف "أشيعا برلين" (1908-1997) و"جورج كاكتوف"، الذي كان يتقن اللغة الروسية، وهو الوسيط الذي أوصل النسخة للمخابرات البريطانية، التي كان على علاقة بها وبعدد من الشخصيات الدبلوماسية البريطانية النافذة (نقلاً عن وكالات الأنباء العالمية ووسائل الإعلام الروسية).

والجدير بالذكر أن رواية (دكتور جيفاغو) حوّلها السير " ديفيد لين" المخرج والمنتج البريطاني (1908-1991) إلى فيلم سينمائي في عام 1965، من بطولة النجم المصري العالمي عمر الشريف و"جولي كريستي"، حظي بإقبال وانتشار عالمي واسع لتألق ممثليه وأدائهم الرائع من جهة، وللدعاية البريطانية –الأمريكية- الغربية الهائلة التي رافقته وروّجت له من جهة أخرى..

أزمة النظام المالي العالمي البحث عن حلول لفوضى حركة رؤوس الأموال

• د. مصطفى العبد الله الكفري

سمات جديدة لطبيعة الأزمة المالية التي يشهدها العالم منذ صيف عام 2008، قد تكون المظاهر والأعراض واحدة، ولكن المسببات والمخاطر مختلفة، إذ أن الأزمة الراهنة هي من أهم نتائج عمليات العولمة المالية والتحرير المبكر للأسواق المالية من وإلى البلدان النامية، وتحرك الأموال الساخنة أو الجوالة على نطاق وحجم كبير جداً لم يشهد تاريخ النظام المالي الدولي مثيلا له فيما مضى.

قبل كل شيء لابد من الاعتراف بأن النظام المالي الدولي الراهن، وفي ظل العولمة المتزايدة لأسواق المال والعملات وسيطرة مؤسسات العولمة (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية)، يفتقد للقواعد الناظمة التي تحكم سلوك المضاربين الماليين وشركات السمسرة الدولية، بما يحقق مزيداً من الشفافية وضبط حركة رؤوس الأموال قصيرة الأجل وسريعة التداول، وحماية مسيرة التنمية والتقدم في مختلف بلدان العالم.

هناك ضرورة لمزيد من الضوابط والضمانات لحركة رؤوس الأموال قصيرة الأجل سريعة التحرك، بما في ذلك حجم اقتراض القطاع الخاص قصير الأجل بالعملات الصعبة، إذ انه مع اتساع دائرة العولمة والتحرير والخصخصة في الدول النامية، يصعب التحكم بقرارات توسع شركات القطاع الخاص في اللجوء إلي القروض قصيرة الأجل من الخارج بالنقد الاجنبي، للاستفادة من فروق سعر الفائدة بين السوق المحلي والسوق الدولي، وبخاصة إذا كان هذا القرار لا يخضع لرقابة البنك المركزي، أو أية جهة رقابية أخري.

قصور واضح في أسلوب أداء أسواق المال:

نلاحظ قصوراً واضحاً وعميقاً في أسلوب أداء أسواق المال والعملات على الصعيد العالمي، وبخاصة في ظل اتساع نطاق حركة النقود الإلكترونية، وتزايد حجم الأموال الساخنة أو الجوالة، وتكوين مراكز في أسواق المال بواسطة المضاربين وشركات السمسرة الدولية الذين يراهنون على نقاط الضعف في اقتصادات وأسواق المال في الدول الناشئة وبخاصة في الدول النامية.

ويؤدي عدم ضبط تدفقات رؤوس الأموال قصيرة الأجل إلي تزايد حدة الصدمات المالية الخارجية والذعر المالي، الذي يؤثر على مستوي الأداء الأسرع المختلف، ويعصف ببعض مكونات الاقتصاد الوطني في الدول النامية، لذلك لابد من البحث عن حلول جادة لهذه المشكلة التي تمثل أحد مخاطر العولمة الاقتصادية والتحرير والتدويل المالي المبكر.

يمكننا تشبيه حالة البلدان النامية التي تقوم بتحرير وتدويل أسواقها المالية وبورصاتها (بالقارب) المبحر في عرض البحار عالية الموج، وهذا القارب مهما كان تصميمه سليماً هندسياً ويتمتع بطاقم قيادة على درجة عالية من المهارة والكفاءة والأمانة، فهو معرض لخطر الغرق نتيجة ارتفاع الأمواج العالية والعاتية في بحار المال العالمية. واستخدام تعبير القارب هنا وليس السفينة إنما هو إشارة واضحة إلي الحجم الصغير لاقتصادات البلدان النامية، وأسواقها المالية بالمقارنة مع مجمل المعاملات المالية الدولية. وقد شهدت السنوات العشرون الأخيرة اتساع دائرة التعامل مع الأصول المالية وبخاصة الأسهم والسندات ومشتقاتها من عقود آجلة وعقود خيارات على نحو واسع جداً لم تشهد له مثيل من قبل.

هوس مالي (ثقافة الهوس المالي):

وفي ظل هذه (السكرة المالية) اندفعت أعداد وفئات عديدة من المدخرين ومن المضاربين المحترفين إلي دخول لعبة (الحظ والمصادفة) في أسواق المال العالمية، وعندما انهارت الأسواق المالية في أسيا خلال صيف 1997، جاءت التحليلات من البلدان الرأسمالية المتقدمة لتلقي بالمسؤولية على قلة الخبرة للمؤسسات المالية في تلك البلدان. وضعف القطاع المالي، وانعدام رقابة البنوك المركزية والفساد، وغير ذلك من المسببات. وصدّق البعض هذه التحليلات لفترة، وكأن الأزمة ليست (أزمة النظام المالي الجديد) في مجمله الذي يعجز عن التأمين ضد مخاطر السوق المالية المتزايدة، وعدم كفاية رأس المال للشركات المالية وصناديق المخاطرة لتغطية مخاطر السوق غير المتوقعة.

بعد أن كانت (ثقافة الهوس المالي) و(الربح السريع) من خلال معاملات البورصات والأسواق المالية في الماضي مرتبطة حصراً بالمتعاملين من أبناء الطبقات العليا، ظهر اليوم دخول العديد من عناصر الطبقات الوسطي والدنيا في عالم المضاربات والبورصات، وهي تعتمد بشكل متزايد على الدخل الريعي (الترييع) المنفصل عن الإنتاج والجهد. وقد يكون هذا الأمر مقبولاً في الدول الرأسمالية المتقدمة التي تجاوزت مرحلة بناء القواعد الإنتاجية وتطورت فيها قوة الأموال بشكل كبير جداً. أما في البلدان النامية، والتي ما تزال فيها القاعدة الإنتاجية والقوى المنتجة غير متطورة، فإن عملية (الترييع) ستؤدي إلي إعاقة التنمية.

لم تعد أزمة الأسواق المالية (ذات طابع آسيوي) كما اعتقد البعض في عام 1997 إنما هي (أزمة عامة) للنظام المالي المعولم. ولن يستطيع (صندوق النقد الدولي) القيام بعمليات إنقاذ مالي لكل اقتصاد يدخل دائرة أزمة (الذوبان المالي) نظراً لان موارده المالية محدودة، ولن تسمح بالمزيد من برامج الإنقاذ الكبيرة، ناهيك عن الاعتبارات السياسية والأولويات الإستراتيجية في هذا المجال وإذا استمرت تلك الأعاصير المالية، فإن عمليات العولمة المالية سوف تجر من (المفارم أكثر مما تجلبه من الغنائم) لاقتصاديات الدول النامية وأسواقها المالية الناشئة.

تشير البيانات المتوافرة عن حركة الأموال التي يجري تحركها في الأسواق العالمية إلى أن حجم التعامل اليومي كان نحو 80 مليار دولار في أوائل الثمانينات من القرن العشرين ثم ارتفع إلي نحو 880 مليار دولار أمريكي عام 1992 ثم قفز إلي 1260 مليار دولار أمريكي عام 1995 أي نحو 1.25 تريليون دولار يومياً، ولاشك أن الرقم الآن قد تجاوز مبلغ 2 تريليون دولار أمريكي.

تميزت فترة الكساد الكبير 1929 وغيرها من الأزمات الاقتصادية السابقة بكونها أزمة إنتاج أو كساد وغيرها من المشاكل المتعلقة بالاقتصاد الحقيقي وانعكاسات الأزمة على تقييم أسهم الشركات المعنية والسندات المالية الممولة للاقتصاد.

الأزمة وللمرة الأولى أزمة مالية عالمية بهذا الحجم وستنتقل تدريجياً لتصبح أزمة اقتصاد وإنتاج كساد وركود ومشاكل في التسويق على مستوى العالم. لذلك ربما نشهد سلوكاً متواصلاً من مختلف دول العالم لسياسات تخفيض متقابلة لعملاتها بشكل غير مباشر وربما نشهد أيضاً توجهاً متزايداً نحو مضاربات على العملات بالإضافة إلى توظيفات مكثفة في المواد والمنتجات السلعية مثل الذهب.

الكلمة فعلٌ لا قول

• د. اسكندر لوقا

يتساءل أحدنا أحيانا عن مكانة الكلمة ومكانها في الحياة ، وقد يجد تعريفا لكليهما أو لا يجد . ويتساءل ، في السياق المتصل ، تراه العقل أم النفس أم ثمة مسكن آخر لإقامة الكلمة تقديرا لمكانتها في الحياة ؟ ويبقى يتساءل ويتساءل ولكن عبثا كما أعتقد . فالكلمة حين تكتب كي تقرأ ، يكون لها وقعها لدى قارئها بحسب اهتماماته وخبراته التي اكتسبها وصولا إلى لحظة هكذا سؤال ، وحينئذ تزيده معرفة بنفسه ، وبذلك تصير الكلمة جزءا من شخصيته ، وقد تشكل له بداية مسار جديد وخصوصا في مرحلة البحث عن درب يوصله إلى غايته .

حين نقرأ على لسان الأديب اللبناني نقولا فياض 1873-1958 قوله على سبيل المثال : " الشباب مطلّ النفس على الوادي الخصيب حيث تنبت أطماح المجد وأحلام البطولة .. " ترى ما هي الصورة التي تتكون في ذاكرتنا البصرية وتحديدا في هذه الأيام ونحن نشاهد البعض من شباب الوطن مسيّرين بتأثير شعارات ترمي إلى تقويض الوطن حاضرا ومستقبلا في آن ؟

إن هكذا قول لا بد أن يعيدنا إلى سنوات ما قبل استقلال بلدنا في أربعينيات القرن الماضي ، إلى أزمنة الاستعمار والخضوع لإرادته ، مثلما يعيدنا هكذا قول إلى أيام دفاع أبناء وطننا عن حقهم في امتلاك الحرية وممارستها وحق تقرير المصير . إن سورية لم تكن يوما لتستكين لإرادة المستعمر ، ولم تكن لتستجيب يوما لمحاولات تقسيمها إلى دويلات كما كان دأب المستعمر الفرنسي في عشرينات القرن الماضي على خلفية التآمر عليها عملا باتفاقية سايكس – بيكو المشؤومة .

إن هكذا قول حين يبقى مجرد قول ، من الطبيعي أن يفقد قيمته ، على عكس ما يؤول إليه الأمر حين يترجم على أرض الواقع كبادرة فعل لا مجرد قول ، وبالتالي يدخل في عداد الأقوال المأثورة التي صنعت أمجاد أمم على دروب الإفادة من تبعاتها على أرض الواقع بغض النظر عن المصاعب والعقبات التي داهمت قائليها أو أوطانهم بشكل أو بآخر .

وحين نقرأ للفيلسوف اليوناني أفلاطون 427-347 ق.م قوله التالي على سبيل المثال " أول وأفضل الانتصارات أن تهزم نفسك " ، ترى بماذا نفكّر ؟

إن هكذا قول ، عندما يدفع قارئه للعمل بمقتضاه ، من الطبيعي أن يتمكن من تخطي ما يعيقه وصولا إلى غايته . أن تهزمَ نفسك معناه أن تخوض أصعب التجارب في حياتك لتكون في مستوى هزم وتبديد التحديات التي تواجهك . أن تهزم نفسك معناه أن تتغلب على أهوائك ونزعاتك التي تدور في فلك التمتع بملذات الحياة وأن تنزلق إلى عالم الشهوات التي تحول بينك وبين قدرتك على تحقيق وجودك في الحياة ككائن جاء ليؤدي دورا خلاقا لا مجرد رقم يضاف إلى سجل الأحوال المدنية في بلده .

ترى أين هم أبناء وطننا اليوم من تداعيات مثل هذه الوصيّة وهو يخوض أقسى تجارب التاريخ البشري على أيدي أعداء الحضارات بما فيها من كنوز المعرفة علما وفنا وأدبا وسوى ذلك من معالم التقدم والارتقاء ؟ أين هم اليوم ؟ لا أعتقد أن أحدا يجهل أو يريد أن يتجاهل الحقيقة التي تشير إلى ما أوصلنا إليه أعداؤنا المتسللون إلى أرضنا الغالية أحفاد أحفاد الذين سبق أن دنسوها بأقدامهم الهمجية في الأزمنة القديمة جدا . لقد جاءها هؤلاء ، محمّلين بسيوفهم وخناجرهم وسكاكينهم، قبل الميلاد وبعده بسنوات، وها هم اليوم ، على غرار أسلافهم ، يدنسونها بحقدهم الأعمى ساعين ، وبإصرار، إلى تدمير ما أشاده أجدادنا وآباؤنا من معالم تدل على ماضيهم المجيد وها هي حتى الآثار والأوابد التاريخية التي يصعب تعويضها قبل مضي القرون لا السنوات فحسب لم تسلم من أيديهم .

إن أفلاطون ، لم يكن يدرك أن بلدنا سورية ستمر ذات يوم بما يوضح أبعاد الكلمات التي حذر بها إنسان اليوم محدّثا أبناء الأجيال القادمة بأن الانتصار الحقيقي هو الانتصار على نزعات النفس لا على الحجر والشجر فضلا عن البشر من دون ذنب . تلك هي الوصية التي جدير بنا أن نعمل على هديها بالفعل لا أن ندور في فلك قراءتها وترديدها فحسب .

وفي السياق المتصل نقرأ للروائي والشاعر الأمريكي وليم فوكنر 1897 – 1962 قوله التالي على سبيل المثال " كلنا كالقمر له جانب مظلم " ، ولا نستطيع تخطي قولته بسهولة لأنها تضعنا أمام أنفسنا ولا تخدع أحدا منا . أقول ذلك لأن ثمة بيننا ، في بلدنا كما في كل بلدان العالم ، من يعتقد أنه فوق النقد وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة . ولهذا يجوز النصح بأن تقييم الإنسان لذاته ، بموضوعية ، هو السبيل الأمثل لجهة تغليب الواقعية في سياق تقييمه للآخرين في الوقت ذاته ، ذلك لأن من يجهل نفسه لا يمكن أن يكتشف من هم حوله ، لأن كل إنسان فيه بذور الشر بمقدار ما فيه من بذور الخير، ومعرفته لنفسه هي التي تفصل بين هذين الجانبين وتدع أحدهما في المكانة الأكثر تأثيرا ، وبالتالي تجنبه الإصابة بمرض الغرور والادعاء بأنه المضيء وحده دائما ، وأنه خال من كل عيب . فوكنر يضع النقط على الحروف حتى لا ينجرف الإنسان في خندق لا قرار له أو يدخل في نفق لا أمل من الخروج منه . وبذلك تبقى لكلمته تداعياتها وإلا فقدت قيمتها في الحياة .

وبطبيعة الحال فإن جولة بين كلمات كبار الفكر والمعرفة في تاريخ البشريّة لا تنصفها ولا تنصف أصحابها وقفة كهذه حاولت بها ومن خلالها أن ألامس الموضوع الشائق ملامسة زائر يطرق باب مكتبة حافلة بآلاف آلاف الكتب ولا يدخل إليها . ولهذا الاعتبار اكتفي بالبعض من الأقوال المأثورة ، بل بالأقل الأقل منها ، مما هو في جعبتي كقارئ متجول بين حقول المعرفة التي لا حدود مرئية لأبعادها على سطح الكرة الأرضية .

وماذا عن هذه الكلمات المعبرة التي قالها رجل الأعمال اليوناني أرسطو أوناسيس 1906 – 1975 الذي كان يعرّف بلقب أغنى رجال العالم " إذا لم يكن المال خادمك صار سيدك " ؟ حين نمعن النظر في هذا القول ، من الطبيعي أن نتذكر أحداثا تاريخية وشخصيات كانوا عبيدا للمال ، فسقطوا في تجربة الاستسلام لإغراءاته حتى على حساب كراماتهم ومصير عائلاتهم وأوطانهم في معظم الحالات . عندما قال أوناسيس كلمته هذه لا بد أنه استوحاها من تداعيات لمسها بالعين المجرّدة كما نلمسها نحن اليوم حولنا باستسلام عبيد المال الجدد لمن يدفع لهم أكثر بغية العيش برفاهية في الغرف المكيفة في فنادق كبار رجال الأعمال في العالم غير آبهين بمن يمضي أيامه داخل خيمة في صحراء قاحلة تحت رحمة الطقس في الليل أو في النهار .

أجل ، على هذا النحو ، كما أقدّر ويقدّر القارئ معي ، تعيش الكلمات أو تموت . إنها تعيش بمقدار ما يكون لها حضورها المتبنى بين أبناء الأجيال القادمة أو تذروها رياح الزمن لتواجه مصيرها المحتوم بالموت .

نقطة على حرف • أ.مالك صقور

النفاريش -٨-

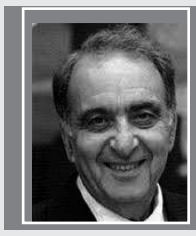

اسمع يا جوهر:

إذا وقف القلم حروناً في يدك, في هذه الأيام, (أم كغيرك تستخدم الحاسوب في الكتابة, وتجيد النسخ، والقص, واللصق, والتعليق) أو, إذا استعصت عليك الفكرة, أو هربت مثل الشعراء, أو تعب ذهنك في البحث عن موضوع تكتبه: فكرة قصيدة لم يطرقها أحد من قبل، أو موضوع قصة إنشائية ذهنية تشبه الخاطرة, خالية من الحدث, أو موضوع رواية طويلة أو قصيرة, أو مسلسل للدراما، كما صار الآن (موضة). أو زاوية في جريدة محلية أو عربية، أو حتى تعليقاً أو مشاركة على صفحتك في (الفيس بوك), وإذا أرهقت دماغك، ولاب السؤال وأعياك. وأرتج عليك كما يقولون، وما عدت تعرف ماذا تكتب، وعمَ تكتب..

لا تقل:

لقد كتبوا كل شيء, وكتبوا عن كل شيء, ولم يتركوا موضوعاً إلا وجسّدوه, ولا فكرة إلا وتناولوها، ولا باباً إلا وطرقوه، ولا تقل إننا نكرّر بعضنا بعضاً، ولا تقل إننا نكرّر الأسئلة ذاتها, أسئلة صعبة، أسئلة سهلة, أسئلة عصيبة عن الإجابة.. فما دامت الشمس تشرق من هناك، انظر, من خلف هذه التلال كل يوم، وكل يوم تغطس في هذا البحر أمامك . ومادام هناك أناس بسطاء طيبون جداً يستيقظون إلى أعمالهم قبل صلاة الفجر وأناس تأتيهم قهوة الصباح إلى الفراش بعد أن تكون الشمس قد صارت في كبد السماء, ومادام ثمة أناس لا يبرحون منازلهم إلاّ إلى الحفلات بشتى أنواعها : حفلة عرس، حفلة عيد ميلاد، حفلة طرب, حفلة سمر.. ومادام المتسولون – وقد ازدادوا- يجوبون الشوارع, ومادامت المحاكم، والباصات، والسرافيس، والفنادق، والمقاهي, والشاليهات مزدحمة، ومادام هناك فلاح يتعب ويشقى وسمسار مرتاح، ومادام يوجد تاجر جشع، ومستهلك بدخل محدود أو من غير دخل، ومادام هناك كاتب ودار نشر, ورقيب في المؤسسات الرسمية. ومادام أن الحياة مستمرة، وكما قلت من قبل ثلاثة عقود حين كنت وملهوف وانضم إلينا حنظلة : إن الحياة فعل مضارع . فإن الأفكار تجدد باستمرار, وأن الموضوعات أكثر من أن تطرق ولكن العبرة في القراءة, والعبرة في من يقرأ؟ والعبرة في من يسمع؟ العبرة في من يستجيب؟ هنا العبرة, يا جوهر!!

وإن كنت لا تصدق تعالَ إلي, وأنا سأكمل لك حديثاً ماضياً عن النفاريش الجدد, إنك تعرف جيداً، يا جوهر, أنت وغيرك, إنه من النِعم الكثيرة التي أنعم الله علينا في قطرنا الحبيب, نعمتان : نعم، نعمتان, لم نكن نحسّ بهما قبل هذه الحرب الظالمة.

هي نعمة التعليم المجاني من المراحل الأولى, وحتى الجامعية النهائية. وكان فقراء الحال, بسهولة يتعلمون, وينجحون, ويتفوقون بجدارة, من غير كلفة تذكر. وكانت الدولة تنفق وتتكفل بالتعليم, وفجأة، فتحت رياض الأطفال الخاصة الكثيرة باهظة التكاليف, وكانت محصورة بالتربية والاتحاد النسائي, وفجأة فتحت المدارس الخاصة, أيضاً بأسعار تليق بأبناء النفاريش الجدد, وفجأة صارت الجامعات الخاصة أكثر من الجامعات الرسمية. بأقساط خيالية، وتعرف يا جوهر, أين العبرة والمرارة, إن المدرسين من تحت حتى من فوق, هم المدرّسون أنفسهم في المدارس الرسمية, وفي الجامعات الرسمية, المدرسون أنفسهم هم في المدارس الخاصة، التي سميت للأسف ((معاهد))!!! والباقي أتركه لحسن فطنتك ونباهتك.

وأما النعمة الثانية التي كنا نحسد عليها, فهي الطبابة المجانية, فمشافي الدولة تتعهد، وتتكفل بمعالجة المرضى أغنياء، وفقراء, بما فيها العمليات الجراحية المعقدة ومهما زادت تكاليفها, كان ذلك على نفقة الدولة، هذه النعمة باقية, ولكن ذوي النفوس المريضة والضعيفة والميتة, أخذوا يتلاعبون بهذا الموضوع, فالأطباء في المشافي الرسمية, لهم عياداتهم الخاصة, وصار لهم مشافيهم الخاصة أيضاً، ويومياً نسمع هذه النغمة : الجهاز عاطل هنا, اذهب إلى مركز كذا, ومخبر كذا، واشتر الدواء من صيدلية كذا, وإن كنت لا تصدق فتذكر ما جرى معك أنت بالذات, العام الماضي.

والذي يجب أن تعرف، ما جرى في هذه الأيام، فعلى الرغم، من هذه الحرب, وعلى الرغم من الصعوبات الاقتصادية الخانقة, وعلى الرغم من كل شيء, مازالت الدولة تستورد الأدوية الخاصة غالية الثمن من أجل المرضى المصابين بأورام مختلفة, وكما تعرف أن أعداداً هائلة, وهائلة جداً أصحابها مصابون بالسرطانات المختلفة, تعلم ماذا جرى, وماذا يجري؟

لقد هرّب النفاريش الجدد، أصحاب النفوس الضعيفة والمريضة والميتة, هذه الأدوية وباعوها لبعض الصيدليات, أيضاً أصحابها من ذوي النفوس الضعيفة, وصار هؤلاء يبيعون هذه الأدوية بأضعاف أضعاف ثمنها, وهي بالأصل غالية .

فاضطر المرضى لشراء هذه الأدوية, والفقراء من باع بقرته التي يعيش على حليبها، ومن باع قطعة أرض وحيدة كي يعتاش منها، ومنهم من رهن بيته كي يشتري الأدوية له أو لذويه. الفضيحة كبيرة, والجريمة كبيرة, ونأمل أن يكون العقاب....

بلى يا جوهر, وكما قلت لك سابقاً, وقلت لغيرك, والشكوى لغير الله مذلّة: سيدي! سيدي! إنهم لا يشبعون...

مستقبل الوطن العربي في بعده الوحدوي

• د. سليم بركات

منذ حملة نابليون بونابرت في أواخر القرن الثامن عشر وتحديداً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أفرزت النهضة العربية حركة ثقافية وسياسية في مواجهة التدخل الأوروبي في الوطن العربي، تلتها الحقبة الاستعمارية حتى أواخر خمسينيات القرن المنصرم التي تتكرر اليوم بشكل أكثر شراسة ووحشية عبر الاستيطان الصهيوني والحملات العسكرية على أقطار الوطن العربي التي بلغت ذروتها في هذه الحرب التكفيرية الإرهابية التي يشنها التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي على الوطن العربي وفي الطليعة سورية. وعلى الرغم من شراسة هذه الحملة كانت ردات الفعل الإصلاحية النهضوية على أسس من الجذور التاريخية للحركة القومية العربية والتي أشابها التمهيد الامبريالي الصهيوني بتصنيع الإسلام السياسي تحت شعارات الإصلاح الديني(الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا...) ومن ثم (حسن البنا وسيد قطب وأبو العلا المودودي...) وما تبع ذلك من صراعات منذ أن أعلن مصطفى أتاتورك إلغاء الخلافة الإسلامية وحتى يومنا هذا وصولاً إلى القاعدة، داعش، والنصرة، وغيرها من المجموعات الإسلاموية الإرهابية المعدة من قبل الحركة الوهابية التكفيرية وامتداداتها ليس في الدول الإسلامية فقط وإنما على مستوى دول العالم.

من هنا نستطيع القول أن خارطة التجزئة التي رسمت استعمارياً للمنطقة العربية بعد الحرب العالمية الأولى لم تكن خارطة جغرافية فقط، بل كانت لتقطيع أوصال الوطن العربي وفقاً لمتطلبات الدول الاستعمارية من جهة، ولميزانِ القوى فيما بين هذه الدول العربية المصنعة استعمارياً والمقاومة محلياً من جهة أخرى. والمدقق في هذه الخارطة على صعيد الواقع يجد ثلاث سمات قد تحكمت بهذه التجزئة منها الموقع الاستراتيجي لهذه الدول عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، ومنها الأجزاء الحاضنة للثروات الطبيعية والزراعية، ومنها الأجزاء المهمشة بشرياً بفصلها عن محيطها العربي. هذه السمات البارزة في عملية التجزئة تركت بصماتها الحادة على النماذج التي تشكلت فيما بعد، والتي يمكن اختصارها في ثلاثة نماذج حدية ومحددة منها الدولة الثروة، دولة الشركة النفطية، التي قامت بوجود سلطوي محلي، يشكل غطاءاً شرعياً لصالح السوق الرأسمالية العالمية، التي تسعى لتدمير المقدرات العربية، وتدفع باتجاه تجزئة ما هو موحد، وتقبل بدور شاهد زور على عمليات النهب والاستغلال التي تمارسه السوق الرأسمالية على حساب الإنتاج العربي المحلي، وهذا بدوره سيكون له انعكاساته على أي مشروع تنموي توحيدي في الوطن العربي، ومنها الدولة الموقع الاستراتيجي، الذي قام على أطراف الوطن العربي، والذي سرعان ما وجد تاريخه الحضاري المشرق بعد تفجير آبار النفط، واكتشاف مناجم الفوسفات، والبقاء رهن التوازنات الدولية بأشكالها المختلفة في علاقاتها بالوطن العربي، ومنها الدولة الكتلة البشرية، التي جرى فصل طاقاتها البشرية عن إطارها العربي الطبيعي شرقاً وغرباً، ليصار إلى تطويقها من قبل دويلات النفط المفرغة من الطاقات البشرية كي تصبح الثروة النفطية أداة تهديد وتدمير لأي مشروع توحيدي. وهذا كان ملحوظاً من خلال تصفية التجارب الوحدوية العربية التي بدأت منذ أيام (محمد علي باشا، مروراً بتجربة الوحدة بين سورية ومصر بزعامة جمال عبد الناصر، إلى غيرها من التجارب الوحدوية العربية اللاحقة) كي يصبح نظام التبعية العربية للتحالف الامبريالي الصهيوني نظاماً واقعياً ومعاشاً، يعبر عن نفسه في كافة المستويات العربية بهذه الدرجة أو تلك، ولقد أسهم قصور المناهج التربوية والنظريات السائدة في الفكر العربي بشكل حاد بالابتعاد عن التوصل إلى تصور عربي حقيقي يواجه نظام التبعية هذا حتى لا يواجه جماهيرياً على مستوى الوطن العربي.

من خلال هذا الواقع يكون تصور البعد المستقبلي للفاعلية العربية الجماهيرية التي تواجه ظروف تواجدها أمام الأحداث الطبيعية وظروف الحياة الخاصة والعامة في المجتمعات العربية، ذلك لأن أية فاعلية اجتماعية لابد من أن تستهدف تحقيق غاية، والغاية هنا هي التوجه المستقبلي المترافق مع تطورات العلوم المادية التي وجدت طريقها منذ القرن التاسع عشر، حيث النزعة الجديدة التي رسخت فعالية قدرات المجتمع، وسيادة الإنسان على الطبيعة، بموجب التنظيم العقلاني الذي بلغ أوضح مظاهره مع نمو التكنولوجيا وشمولها مختلف مؤسسات الإنتاج والتنسيق الاجتماعي المرتهن لخدمة الإنسان وزيادة فاعليته. الأمر الذي أدى إلى وقوع الشرخ بين حتمية التقدم وحتمية التفاؤل على مستوى العالم ومنه الوطن العربي وبالتالي كان بلوغ الحضارة بأرقى مظاهرها من الحرية والإبداع، المحرك الأساسي لأحداث التاريخ الكبرى، ومع تتابع الخيبات التاريخية وتزايد الصراعات الدولية أخذت النزعة العقلانية تواجه منعطفاً يختلف كلياً عن هالة التفاؤل التي صاحبت نشأة التكنولوجيا ليصبح امتلاك الحاضر والإعداد للمستقبل غير معني بكليات التطور للإنسانية جمعاء، بل للنخبة التي تمتلك سلطة العلم والقادرة على فرض نظامها الخاص، الحارس على سلطانها، والمحقق لنزعتها التسلطية المطلقة، بصرف النظر عن أي جدوى حضارية يمكن أن تتمتع بها بقية الفئات الاجتماعية الأخرى على مستوى العالم. الأمر الذي أدى إلى نوع جديد من صناعة المستقبل، القائمة على قانون صراع البقاء، وتوجيهه نحو حتمية البقاء للأقوى، والذي يؤكد أن الفلسفات التي كانت تتحدث باللغة الأيديولوجية عن حتمية التقدم والوصول إلى التطابق التام بين العقل والتاريخ، أو بين المثل الأعلى والواقع قد تنحت لصالح فلسفات صناعة المستقبل والتكنولوجيا المطلقة، التي تحتم إرادة هذه الفلسفات، وهي تسير التاريخ وحدها كأداة لهذه الحتمية وليس العكس بمعنى أن سلطات التكنولوجيا كانت بهدف إخضاع المجتمع الإنساني إلى التنظيم العقلاني الموجه لصالح النخبة القليلة ممن يمتلكون إنتاج التكنولوجيا. بهذا برزت صناعة المستقبل وفق السيناريو الاستراتيجي المرسوم مقدماً، وسواء كان هذا البروز معبراً عن إمكانيات متوفرة حقاً، أو يمكن أن تتوفر مع تقدم المعلوماتية ومشتقاتها، فإنه يبقى للدراسات المستقبلية وجه أقل كآبة، ذلك أنه لأمر عظيم أن يتمكن العلم من توقع بعض خطوات التطور سواء في حقل الصراع على الطاقة، أو في حقل التضخم السكاني، أو في حقل الكوارث الاجتماعية والطبيعية أحياناً...وإذا كان العالم المتقدم يوجه علماءه وأفضل المراكز البحثية لديه نحو مثل هذه الدراسات المستقبلية، فهذا يدل على أن المسألة لم تعد متعلقة بالنبوءات وحساب الاحتمالات، بل تتعلق بفهم الحاضر وتبنى على التوقعات المستقبلية.

> امتلاك الحاضر والإعداد للمستقبل غير معني بكليات التطور للإنسانية جمعاء، بل للنخبة التي تمتلك سلطة العلم.

> مع تتابع الخيبات التاريخية وتزايد الصراعات الدولية أخذت النزعة العقلانية تواجه منعطفاً مختلفاً عما سبق.

السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الخضم هو ما حال الأمة العربية، وكيف تواجه مستقبلها إذا لم تتمكن من الإحاطة بحاضرها لتكشف مصيرها المرتقب؟ ولاسيما في مثل هذا الاستهداف الامبريالي الصهيوني الرجعي لوجودها ولمقدراتها، وهي تعاني من ثقافة مهزومة ومزروعة في الوعي العربي بسبب الإخفاقات التي مني بها المشروع القومي العربي، منذ الانفصال عن السلطة العثمانية وحتى يومنا هذا، مروراً باتفاق سايكس بيكو، وبوعد بلفور وخسارة فلسطين، إلى كارثة الانفصال عام 1961، إلى نكبة حزيران عام 1967، والتي أفرزت ذهنية ذاتية للأحزاب القومية التي وصلت إلى السلطة، وزاد الطين بلة تكريس المفهوم الذي يعتمد الحل الأمريكي للقضايا العربية مدعوماً بصعود المال النفطي كبديل للاندفاع نحو الوحدة والتحرير والمقاومة، وكل هذا أوجد منظومة فكرية عربية مستسلمة للأمر الواقع.

ما أشبه الأمة العربية اليوم بالطفل الذي يحيا حاضره فقط، وهو غير قادر على التواصل مع ماضيه الحقيقي، ولا الإعداد لمستقبله في الوقت الذي يخطط فيه أعداؤه إلى سيادتهم، وإلى المزيد من عبودية العرب وضعفهم. لقد أصبحت الرؤية المستقبلية علماً يستخدم نتاج العلوم كلها، واختزان المعلومات هو الخطوة الأولى لاكتشاف هذه المعلومات، والتأكد من مدى انطباقها على المستقبل. إنها مادة العلم الذي هو الإستراتيجية الحضارية الشاملة، التي تعني صناعة المستقبل، لكن غربة الوعي العربي عن هذه العلوم ومؤسساتها و فاعلياتها لا تفسر إلا بمشكلة الإحباط التي يعانيها الوعي العربي، ولا عجب أن نجد عجز هذا الوعي فيما يواجه من أحداث بسبب عجزه القومي في المواجهة، إنه بدون فعله الوطني القومي سيبقى في حالة من الانبهار والذهول، لا بل في حالة من الانبطاح من هول ما يجري في الوقت الذي لا يملك فيه سوى الوعد والوعيد. الأمر الذي يؤكد أن الأحداث الكبرى لا تفاجئ إلا من يملكون عقول الأطفال، ويتحدد سلوكهم بردود الأفعال، فمن منا لم يكن يتوقع مخاطر كامب ديفيد بعد أن اغتصب السادات التجربة الناصرية، ومن منا لم يكن يتوقع تصهين البعض من الحكام العرب بعد حرب تشرين التحريرية، ومن منا لم يكن يتوقع ما يسمى بالربيع العربي بعد تصنيع الغرب للإسلام السياسي ووضعه في خدمته، ومن منا لم يكن يتوقع ما يجري في الوطن العربي من قتل وتدمير بعد أن وضعت أموال البترودولار تحت تصرف الإسلامويين التكفيريين بإرادة امبريالية صهيونية.

لقد كانت الأهداف الامبريالية الصهيونية معروفة في الوطن العربي من قبل مختلف الهيئات والنخب الثقافية والحزبية، الوطنية القومية، وفي الطليعة حزب البعث العربي الاشتراكي، لكن الحكام العرب كانوا في موقع العجز لوضع استراتيجية مضادة حتى ولو كان ذلك محاولة، ومع ذلك فقد نهج أكثرهم بمصطلحات إستراتيجية دون أن يؤثر هذا النهج على صعيد الواقع العربي لكشف الاستراتيجيات المعادية التي تسرح وتمرح في الساحة العربية، وفي أكثر مؤسسات الوطن العربي شراكة. وبالتالي لو انصرف الحكام العرب إلى إعادة النظر في حاضرهم، واستطلعوا درب مستقبلهم في غابة مستقبل العالم، لسقط آخر حاجز على الطريق نحو بناء إستراتيجية الوحدة العربية الحقيقية صانعة المستقبل العربي، وعلى العرب أن يدركوا أنه لم يبق ثمة مستقبل لمن لا يتمسك بمقومات وجوده، لقد امتلك الحكام العرب من أصحاب البترو دولار الكثير على مستوى العالم لكنهم خسروا أنفسهم وهم اليوم يخططون لكي يجعلوا العرب يخسرون وجودهم ومستقبلهم معاً، الأمر الذي يؤكد أن الوحدة العربية ليست وليدة النهضة العربية فحسب، وإنما هي أم النهضة، إنها فعل الحاضر، والنهضة ثمرة هذا الفعل.

سوناتا الانتظار وعويل الزمن المهزوم

• محمد الحفري

سوناتا الانتظار وعويل الزمن المهزوم مسرحيتان صادرتان عن الهيئة العامة السورية للكتاب للشاعر والمخرج إسماعيل خلف وقد حصل نصه الأول على جائزة أفضل نص في مهرجان الشباب الرابع بطرطوس ومهرجان المسرح الجامعي في اللاذقية للعام 2010م وقدم له المسرحي العربي العراقي صباح الأنباري وهذه السوناتا أو السوناتة كما في مصادر أخرى اشتغل على مسماها الكثير من المخرجين في سورية والوطن العربي منهم فيصل الراشد وسمير المطرود ونبيل الحفار وغيرهم وهي باختصار معزوفة موسيقية كلاسيكية تتعاون على أدائها مجموعة كبيرة من العازفين وهي مصطلح مأخوذ عن اللغة الإيطالية وفي تعريف آخر هي القصيدة التي تدور بين المرأة والرجل أو هي ذلك الحوار الشعري الذي يخصهما ومن أجل هذا جاء تقسيم النص على شكل معزوفات مرقمة بدلاً من اللوحات والمشاهد كما هو التقليد المتبع .. أما الانتظار فتشير إلى ترقب شخص ما وقد يطول أو يقصر.

يشتغل الكاتب في النص الأول على ثنائية المرأة والرجل حيث يجمعهما الانتظار الطويل والممل والقاتل الذي يؤدي أحياناً إلى الموت أو انتظار الفراغ والمستحيل الذي لا يتحقق لكنه الأمل الذي يدفع الإنسان إلى التعلق بأي شيء حتى لو كان مجرد قشة كما يقولون .

يجمع الانتظار المرأة والرجل على مقعد واحد في محطة القطار، هي تنتظر حبيبها الذي سافر يوما في هذا القطار ، وهو ينتظر للسبب ذاته وقد منعته الظروف ذات يوم أن يرتبط بمن خفق لها قلبه، والانتظار هنا يوحد بين الشخصيتين إذ يجمعهما الهدف المشترك والمكان ذاته واللغة أو لنقل الحوار الذي نحسبه لشخص واحد " هو : سافرت - هي : سافر - هو : سأنتظرها - هي : سأنتظره - هو : يجب أن تعود - هي : بالتأكيد سيعود " وهذا التشابه يستمر في أغلب لوحات النص أو معزوفاته كما عنونها الكاتب الذي حاول أن يلعب على مسألة التوازن ففي اللوحة الأولى يقف شاب إلى يمين الخشبة وفتاة على يسارها ، وفي الثانية يدخل فيجدها جالسة فيسألها عن القطار وكذلك تفعل هي في اللوحة التالية والقطار يأتي ويرحل من دون أي بارقة أمل غير أن قلب الرجل يميل مع الوقت لتلك المرأة وكذلك هي، يتضح ذلك جليا في خاتمة النص حين تموت المرأة ويخبره بذلك ناظر المحطة لكنه يبقى جالساً ومنتظراً كعادته ويكاد النص أن يخلو من التصاعدية لولا بعض الإشارات التي يضعها أحياناً في أول المشهد مثل " ينبغي للمتفرج أن يلاحظ أنهما أكبر سناً من المشاهد السابقة أو أنهما قد أصبحا في سن الكهولة " وربما ساهمت انسيابية النص وشاعرتيه الجميلة في منع تلك التصاعدية المطلوبة في الدراما ..

ولا يخرج الكاتب عن الطريقة ذاتها في مسرحيته الثانية "عويل الزمن المهزوم " التي تتضمن شخصية الأول وهو الشاعر وشخصية الثاني وهو المطرب وامرأة تظهر مثل خيال الظل بينما يظهر الحارس في المشهد الأخير كما ظهر ناظر المحطة في المسرحية السابقة وفي هذه المسرحية كما في سابقتها يجمع الطريق بين الشخصيتين كما يجمعهما الحوار والهدف المشترك " الأول : الطريق طويلة جدا - الثاني : طويلة جدا - الأول : الطريق مملة - الثاني : ومملة جدا - الأول : هل سبق لك وسافرت على هذا الطرق ؟ - الثاني : هذه الطريق أكلت من عمري الكثير" وهكذا يسير الحوار بينهما ليصدمنا الكاتب في النهاية بأن ما يجري في المقبرة وذلك حين ينهاهما الحارس عن التحدث بصوت مرتفع " حارس المقبرة : هيه .. أنتما أيها الميتان .. اخفضا صوتيكما قليلا .. ثمة أموات يريدون النوم "

ومن الملاحظ أن الكاتب استخدم محطة القطار مكاناً تجري فيه حوارات نصه الأول مشيرا إلى وصول القطارات ومغادرتها للمحطة واستخدم عويل القطار في النص الثاني فهل هذه إشارة منه إلى تشابه محطات الموت والحياة أم هي مسألة تكاد أن تعمم على أبناء الجزيرة السورية الذين يشتغلون في المسرح ومنهم وليد العمر وعدنان عبد الجليل وهل المسألة مرتبطة بالسفر والبيئية والبعد عن العاصمة ولو أن الأمر كذلك فعلاً فكيف شكلت الحسكة في سنوات خلت أهم روافد المسرح في سورية ؟ وما نريد قوله في هذا المجال إن الكاتب إسماعيل خلف المشهود له في مجال المسرح كتابة وإخراجا والحاصد للكثير من الجوائز المحلية والعربية هو غالبا ما يبني الشخصية الواحدة على عدد من الشخصيات الموازية كما في "سوناتا الانتظار وعويل الزمن المهزوم" أو الشخصيات المناقضة التي تحمل فعل الضد وفيها الآخر والأنا ، الصديق والعدو أو ما يمكن أن يتحول إلى عدو في الوقت ذاته وهذا ما فعله مع نص المرحوم ممدوح عدوان "بقايا رجل ، ظل امرأة " والذي قدم في المهرجان الجامعي عام 2007م في مدينة اللاذقية ونال جائزة أفضل عرض .. وخيرما نختم به القول عن أعمال الكاتب والمخرج المذكور ما قاله الناقد الدكتور ماهر الخولي : " تترك أعمال إسماعيل خلف كثيراً من المرارة في الحلق لا لرداءة الصنع بل للتشابه العميق الذي تحدثه مع أرواحنا .. كان إسماعيل يقول : أكل هذا الحزن لي وحدي ؟ من يشتريه بأغنية ولو كانت حزينة ؟...

د.حسن حميد

التعب الجميل..!

كثيرة هي الأسئلة الدائرة اليوم في المشهد الثقافي، ومنها لماذا لا أدوار جوهرية للأدب المكتوب في هذه الآونة؟! وإلام تعود أسباب تراجع غنى النص الأدبي من حضور، وجمال، وتقنيات، ومهدوفية، ومتعة، وظلال سحرية؟! هل الأسباب عائدة إلى الموضوعات التي أشبعت حديثاً وتناولاً، أم هي عائدة إلى أن التقنيات الأدبية باتت معهودة، وعادية، ومدركة؟! أم إلى أن المواهب الكبيرة باتت قليلة ونادرة؟ أم إلى أن جهات الاستقبال للأدب (قراء، ودور نشر، ونقاداً، ومنابر، ووسائل إعلام) ما عادت تمتلك الحساسيات النبيهة العاشقة للأدب ومعانيه، وسحر مفاعيله في النفس والمجتمع في آن؟! أم إلى أن جهات ثقافية، وغير ثقافية، أخذت دور الأدب، وباتت تقوم به بالإنابة، أو بالافتكاك؟!

كل هذه الأسئلة الثقال، وغيرها أيضاً، هي مدار الحديث اليوم بين الأدباء والكتّاب من جهة، وبين الناس عامة، أعني أهل القراءة والاستقبال من جهة ثانية، فهل هذه الأسئلة حقيقية، ومشروعة، ودالة، وقابضة على ما هو جوهري يجول في نفوس الذين يحبون الأدب والثقافة ويتمنون أن تعود أهمية الأدب، وأهمية الثقافة إلى ما كانت كل منهما عليه في الأزمنة السابقة، وبالتالي أن تعود أهمية الأدباء والكتّاب وأهل الرأي والتعبير للبدو والتجلي في المجتمع بوصف هؤلاء الخلق، أعني الأدباء والكتّاب، من أهل المحظوظية من الأرض والسماء في آن، وأنهم أهل مواهب لا يمتلكها غيرهم، وقدرات في مجالات الاشتقاق والفطنة والحدس لا يمتلكها غيرهم أيضاً.

والحق أن هذه الأسئلة غنية جداً، ومهمة جداً، لأنها تدور حول معنى شديد الخصوبة من جهة، والتأثير من جهة أخرى، ليس في حياة الناس فحسب، وإنما هو شديد التأثير في مسارات التاريخ أيضاً.

وللوقوف في ظلال هذه الأسئلة، أرى أن الواجب يدعونا إلى وضع عتبات أولى، نتلمسها ونعيها ثم ننطلق منها إلى معالجة هذه الأسئلة، وبعضها شديد الحرق، وعاطب! من هذه العتبات القول بأن الأحوال الاجتماعية، والظروف التي تحيط بالأفراد والمجتمعات العربية، ما عادت هي الأحوال والظروف نفسها التي كانت أيام زمان، وأعني بأيام زمان، قبل أربعة عقود، وربما أزيد، حين كان صدور كتاب يحدث دوياً هائلاً ليس في جغرافيته الوطنية، مثل سورية، وإنما في جغرافيات عربية أخرى مثل مصر، ولبنان، والعراق، لا بل إن صدور صحيفة جديدة كان يحدث مثل هذا الدوي، ويولّد أسئلة كثيرة، ويستنبت أسئلة كثيرة تدور حول الكتاب، وحول الصحيفة! بقولة أخرى كان هناك شغف لقبول الكتاب، وقبول الصحيفة، وهذا الشغف بات اليوم معدوماً، وإن لم يكن معدوماً، فهو يعاني من برودة قاتلة، وبطء متعب رهّاق، فالسؤال عن الكتاب الصادر حديثاً، ما عاد خبراً طالعاً في حياة الناس، أهل القراءة والاستقبال، بل ما عاد خبراً طالعاً يطارده الناقد من أجل الظفر به أو اقتنائه! والسبب في غياب هذا الشغف يعود إلى ضعف حساسية القبول على الكتاب أصلاً، بعدما انصرف الناس إلى جهات أخرى ترضي شغفهم، ومنها وسائل التواصل الاجتماعي، فقد راح الناس المهتمون بالأدب والثقافة والمعرفة عموماً، يميلون إلى قضاء الساعات الطوال وهم يتصفحون مواقع التواصل الاجتماعي، بعدما كانت هذه الساعات تملأ بالقراءة، والعيش في ظلال الكتب، ومن أسف أن ذلك التصفح لا يأتي بفوائد الغنى الهائلة التي كانت تأتي بها قراءة الكتب لأن القراءة على صفحات التواصل الاجتماعي، والشغف بمتابعة أخبار الناس، وهي أخبار لا تؤسس لثقافة أو معرفة حقيقية، لا تمكن المرء من غنى مرجو، لا بل إنها تعمل على تراجع ثقافة المرء ومراوحتها في مكانها إن لم تؤد إلى تكلسها وضمورها.

ومن هذه العتبات أيضاً، أن الكتاب بات غالياً في ثمنه المادي، وقدرة المرء على شراء الكتب باتت محدودة، إن لم تكن معدومة، لأن شواغل الحياة ومتطلباتها زاحمت الكتاب ليس في سعره فحسب، وإنما في عدم وصوله إلى البيت ليصير جزءاً أو حالاً من مقتنياته. وأمر آخر، أراه مهماً، وهو أن صدور الكتاب، ما عاد سؤالاً دائراً بين الناس المهتمين أصلاً بالكتاب، والقراءة، والثقافة، والمعرفة، أعني الناس الذين ما زالوا يراهنون على دور الكتاب في التثقيف والحضور الاجتماعي والدلالة على الإبداع وأهمية المواهب! وللتوكيد على هذا الأمر، أقول إنني أحضر اجتماعات كثيرة لمثقفين كثر، ومن أجيال مختلفة، ولهم اهتمامات مختلفة أيضاً فلا أرى أحاديثهم تدور حول الكتب، قدر ما تدور حول المنتديات الجديدة، والمنابر الجديدة، وعالم (اللايكات) التي باتت تعد بديلاً عن التصفيق الذي كان ينشده الإبداع الأصيل، لأنه يعبر عن حرارة القلب وتوهجه، وفرح الذات بالجديد الصافي الذي يرجها رجّاً لما فيه من عوالم بكر، ومساحات أرجوانية من الألق المشتهى.

ومن العتبات التي لابد من الوقوف عندها هذه الانحسارات الكثيرة التي شملت عالم الأدب والكتابة والثقافة والفنون عامة، ومنها انحسار دور الصحف والمجلات وعدم اهتمامها بالإبداع الأصيل، وقبولها بكل ما يفد إليها، وهذا (الوفود) ليس وظيفة الصحف والمجلات، وإنما هو وظيفة المقابر التي تستقبل كل من يأتيها وقد حقق شرط الموت سواء أكان صالحاً أم طالحاً، قصيراً أم طويلاً، غنياً أم فقيراً. وظيفة الصحف والمجلات عادة مشدودة إلى ذائقة أهلها العاملين فيها التي تقبل وترفض استناداً لقاعدة إبداعية مهمة باتت معادلة شهيرة هي: الأصالة، والجدة، والمتعة.

اليوم، الصحف والمجلات، باتت تقوم بدور يفوق دور المقابر، وهو أنها باتت جهةً طاردة للإبداع حين أقفلت صفحات الإبداع أو غيبّتها، ومنها الملاحق الأدبية التي كانت تنشرها! صحيح أن البهي الرائق كالينابيع كان يجاور تعريشات الشوك التي تُسمى أدباً، لكن الصحيح أيضاً هو أنها كانت تقوم بدور مهم، راصد، وحساس يخبرنا، عبر مجساته، بالجديد والفتان! الآن أين هي صفحات الإبداع والثقافة والفنون، ومنها الملاحق الأدبية والثقافية؟! إنها غير حاضرة، بل غائبة، وطاردة أيضاً، وهذا ما جعل شريحة واسعة من الأدباء والكتّاب وأهل التعبير والرأي ينصرفون عن هذه الصحف والمجلات، وغدت أرقام توزيعها بين الناس تدلل على ضعف دورها، وقلة تأثيرها، بعدما كان صدورها معنى من معاني الصباح والشروق معاً!

والأمر نفسه ينطبق على المحطات التلفزيونية والإذاعية، فالضعف هو الضعف، وعدم الفطنة والبراعة هو هو، وتسليم البرامج الثقافية لغير أهلها وجعلها راضيةً بأضعف خلق الله أدباً، وكتابة، ومعرفة، والأمثلة حيّة وجلية أمام أعين الجميع، كأن يخرج شاعراً أو شاعرة كل منهما حسن الهندام، رائع في تصفيف الشعر، يبتسم أو تبتسم طوال الوقت، لكن إن قرأ أو قرأت يسمع المرء غريب الكلام، وغريب اللفظ وغريب المعنى، وكأن الشاعر أو الشاعرة لم يعرف أي منهما شيئاً عن حياتين اثنتين: حياة النص الشعري وسيرورته الطويلة الطويلة، وحياة الشعراء وسيرهم الطويلة الطويلة أيضاً، فجرأتهما، أعني جرأة القبول بالحضور تحت هذا اللقب (الشاعر أو الشاعرة) وهما لم يبلغا سن الرشد الشعري.. تودي بهما إلى القيعان، وهذا لا يترك أثره السيء فيهما وحدهما، وإنما يسربل الشعر الحديث/ الطالع بالمعاني والأوصاف التي لا تليق بالشعر أصلاً.

ومن العتبات أيضاً، عدم الاهتمام بأن يكون الأديب صاحب ثقافة موسوعية، يقول الناس عنه إنه مثقف مدهش، محتشد، مليء، عامر، دارة علم، مدينة للمعرفة..

أقول هذا لأنني أرى، وأعايش بعض الشعراء، والنقاد، والقصاصين، والروائيين، ومن يكتبون الشعر والقصة والمسرحية للأطفال، الذين يقولون وبتباهٍ: أنا شاعر، ولست لغوياً لأعرف قواعد اللغة، وأنا شاعر أكتب قصيدة النثر، ولا شأن لي بموازين الشعر وبحوره، وأنا قاص أكتب عن المرأة ولا يهمني أن أعرف عن طبيعتها شيئاً؟. وأنا حكاء أكتب للأطفال، وليس من الضروري أن أعرف النظريات التربوية، أو أعمار الأطفال الزمنية، والعقلية، والتربوية، كما لا يعنيني ما الذي يفعله الخيال من بهجة أو سحر أو متعة في نفوسهم! وأنا روائي أتحدث عن الحرب والشهداء، والموت، ولا يهمني أن أعرف شيئاً عن التحالفات ولا عن الأسلحة، ولا أن أميز ما بين البندقية، والمدفع، أو الصاروخ والقنبلة، أو الدبابة والطائرة..

مثل هذه الأقوال من جهة، ومثل هؤلاء الأدباء/ الكتّاب من جهة أخرى.. لا لزوم لها، ولا لزوم لهم.. لأن الحياة الجميلة ليس لها أن تهتم بمثل هذه الأقوال، ولا أن تحترم هكذا أدباء، أو أن تعطي بالاً لهم.. لأن كل ما سيكتبونه سيكون ناقصاً، والحياة اليوم غير معنية بالناقص، لا بالرواية الناقصة، ولا بالقصة، أو القصيدة، أو المسرحية، أو المقالة النقدية الناقصة!

هنا، ولتبديد غيوم التشاؤم، أسأل أليست هذه الحياة التي نحياها قادرة على استنبات دوستويفسكي جديد؟! أو تشيخوف جديد؟! أو متنبي جديد؟! أو يوسف إدريس آخر؟! أو بريخت وابسن جديدين، أو بيكاسو مدهش آخر؟! أقول: بلى إنها قادرة، لأن الحياة ولّادة للمواهب، لكن على أهل المواهب أن يتعلموا، ويتثقفوا، ويتعبوا.. كي تصير مواهبهم بحجم مواهب هؤلاء الكبار، صحيح أن أولئك كانوا طفرات، وحالات نادرة.. لكن الصحيح أيضاً هو أن الحياة قادرة على استنبات مثل هذه الطفرات مثلما هي قادرة على المجيء بهذه الحالات النادرة.. وما على أصحاب هذه المواهب سوى أن يؤمنوا بما سيأتي به.. التعب الجميل!

Hasanhamid55@yahoo.com

سـوريـة وفلسـطين

•نبيل فوزات نوفل

كانت فلسطين عبر التاريخ جزءاً من سورية قبل أن تقوم القوى الاستعمارية ممثلة بالدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا من خلال اتفاقية سايكس - بيكو عام 1916م بتقسيم المنطقة العربية ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني وسورية تحت الانتداب الفرنسي تمهيداً لتهيئة الأجواء المناسبة لتسليمها للغزاة الجدد الصهاينة ليقيموا عليها كيانهم الغريب المصنع تحقيقاً لرغبة الدول الاستعمارية التي اجتمعت في مؤتمر كامبل عام 1907م بتوجيه من الحركة الصهيونية وكبار قادة الرأسمالية العالمية التي رسمت ملامح سياستها وأطماعها في فلسطين منذ المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897م.

ولقد كان من أخطر ما اتخذه مؤتمر كامبل هو إقامة حاجز غريب يفصل مشرق الوطن العربي عن مغربه ليكون أداة استعمارية ضاغطة على العرب ويمنع قيام وحدتهم ومشروع استنزافي دائم لطاقاتهم وخيراتهم واستمراراً لتجزئتهم وضعفهم وتمزقهم ،وكلب حراسة للمصالح الاستعمارية في المنطقة.حيث ركزت السياسة الإمبريالية التلمودية منذ ما قبل قيام الكيان الصهيوني على:

دعم الحركات الإرهابية الصهيونية للقدوم إلى فلسطين وارتكاب المجازر بحق الفلسطينيين ،حيث كانت أولى دعوات إعادة اليهود إلى فلسطين تعود إلى عام 1621م على يد محام انكليزي شهير يدعى"هنري فينش" في كتاب له أسماه "الدعوة العالمية الكبرى أو دعوة إلى اليهود".ولم يأت القرن السابع عشر حتى وصل عدد المؤلفات التي تدعو اليهود على"الهجرة اليهودية لفلسطين إلى أكثر من اثني عشر مؤلفاً .كما لا يخفى على المتابعين استثمار القوى الاستعمارية للدين في السياسة من خلال دعم الحركات الدينية المتطرفة ،والعمل على تصنيع أنظمة عربية موالية للسياسات الاستعمارية لكي تلعب دور السمسار على شعوبها وهذا ما أثبته التاريخ وخاصة دويلات الخليج العربي.والدور الخطر الذي قامت به القوى الإمبريالية التلمودية هو العبث بالعقل العربي الذي وقع أسير بعض الخرافات والبدع ومنها الفصل بين القوى الإمبريالية العالمية والكيان الصهيوني،وأن هناك قوى أخرى هي المعادية للعرب ،وتشكل الخطر الأول والذي كان سابقاً الشيوعية واليوم أضحى إيران وقوى المقاومة . وذلك لحرف الصراع عن هدفه الحقيقي وصولاً لتصفية القضية العربية ، كما تم ترك تحديد طبيعة الصراع ومكوناته وآليات الخروج منه للقوى الاستعمارية والقوى العربية التي باعت القضية ،وساد الخلط المقصود في المفاهيم والمصطلحات فيما يتعلق بالصراع ما أدى لسيطرة التفكير التجزيئي على العلاقات العربية ،وعدم ربط النفط بالقضية الفلسطينية وتخلي الكثير من الأنظمة والقوى السياسية من العرب عن العروبة، وتكريس ثقافة الخنوع والقنوع والهيمنة على الإعلام العربي والعالمي لنشر بدع إن الإسرائيليين شعب غير مقاتل وإن الفلسطينيين تركوا أرضهم بلا عناية من جراء كسلهم وعدم تمسكهم بها نتيجة طبيعتهم البدوية، كما ركزت الإمبريالية التلمودية في المناهج التعليمية على أن العرب والمدنية لا يجتمعان، واستبعاد مفردة الوطن العربي في كتب الجغرافية ، كما ركزت على ضرورة شن الحروب على العرب والمسلمين لتحضيرهم وغير ذلك من السياسات الهدامة والخطيرة .

ومنذ بدأ المشروع الصهيوني الاستعماري للسيطرة على فلسطين وقف السوريون ضد هذه المؤامرة وقدموا الغالي والنفيس للدفاع عن فلسطين ،وساهموا في كل الثورات التي حدثت في فلسطين ،واستشهد الآلاف منهم دفاعاً عن فلسطين والتي هي بالمحصلة دفاعاً عن سورية وسياستها واستقلالها وكرامتها.

إن قضية فلسطين بالنسبة للسوريين هي قضية وطنية وقومية بآن واحد ،ففلسطين جزء من سورية وهي عربية في

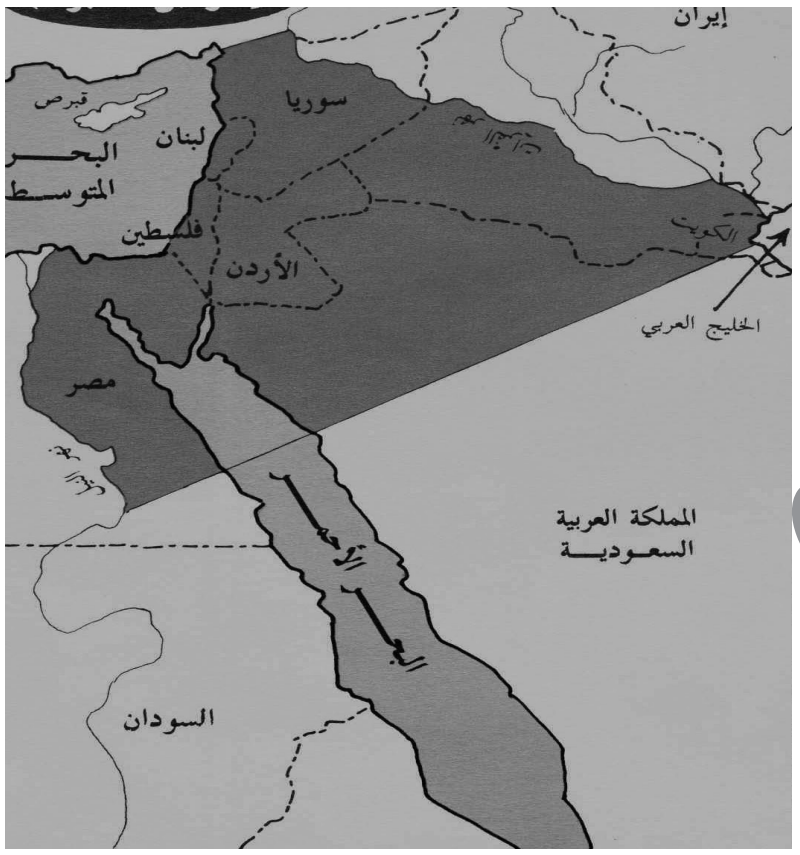

> منذ بدأ المشروع الصهيوني الاستعماري وقف السوريون ضد هذه المؤامرة وقدموا الغالي والنفيس للدفاع عن فلسطين.

انتمائها ، وبالتالي فالدفاع عن فلسطين واجب وطني وقومي وديني بسبب طابعها الوطني والقومي والديني،هكذا تعلم السوريون عبر التاريخ في مدارسهم ،هكذا أورثنا أجدادنا وآباؤنا الذين قاتلوا واستشهدوا على تراب فلسطين. واستمر السوريون في موقفهم الذي أضحى موقفاً مبدئياً راسخاً ثابتاً في كل الظروف والأحوال،فموقفهم من فلسطين غير موضوع في ميزان الربح والخسارة لأن المسألة ليست مسألة قضية شعب غريب نسانده وندعمه ،بل هي ذاتنا وسر وجودنا وقوتنا وتقدمنا.

وعند التعاطي مع قضية فلسطين يجب التركيز على حقيقة راسخة أنه لا أمل للعرب بالتقدم والأمان والاستقرار ما دام الصهاينة يغتصبون فلسطين ويقيمون كيانهم المصطنع فيها،لأنها هي الحارس لأنظمة اللصوص والخيانة والعمالة في الوطن العربي ،وهي التي تهدد وتمنع أي خطوة نحو التقدم والاستقرار إذاً المعادلة هي:

تقدم واستقرار العرب يساوي القضاء على الوجود الصهيوني

من هنا أولى السوريون أهمية الصراع العربي الصهيوني جل الاهتمام وما جرى ويجري في المنطقة وفي سورية مرتبط بهذا الصراع.فسورية تعتبر فلسطين قضية وطنية وقومية بآن واحد فقد أكدت دوماً على التحرير الكامل لجميع الأراضي العربية المحتلة،وعدم التنازل عنها أو التفريط بأي جزء منها،والتأكيد على استعادة الحقوق الوطنية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره في وطنه وبناء دولته المستقلة فوق ترابه الوطني.

لقد تعزز الموقف من القضية الفلسطينية بعد قيام الحركة التصحيحية المباركة في16 تشرين الثاني عام 1970م بقيادة القائد المؤسس حافظ الأسد الذي ركز في رؤيته للقضية الفلسطينية باعتبارها جوهر الصراع العربي الصهيوني،حيث

> ستبقى المقاومة عقيدتنا وهويتنا وشرفنا وفلسطين بوصلة نضالنا، ولن نتخلى عن حقوقنا العربية.

قال في خطابه التاريخي بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لثورة الثامن من آذار: "...إذا لم نستطع ان تقرر ونحقق النصر اليوم ،فلا يجوز لنا أن نقرر ونحقق هزيمتنا اليوم،لماذا قصر النفس؟لماذا السرعة في فرض الهزيمة على أنفسنا؟القضايا المصيرية كالتي نحن بصددها ليست ملكا لأفراد ولو كانوا في قمة المسؤولية ،إنها ملك الشعوب،وليست ملكاً لجيل واحد،أنها ملك الأجيال! وعندما لا يستطيع مسؤول ولا يستطيع جيل من الأجيال أن يحقق مصالح شعبه،مصالح الأجيال التالية،آلا ينتصر في إحقاق هذه الحقوق، فلا يجوز،ولا يجوز لهذا الجيل أن يورث الأجيال اللاحقة هزيمة ممهورة بالصكوك،لا يجوز أن يسلم هزيمة مسجلة بصكوك وقع عليها المسؤول أو وقع عليها الجيل عبر هذا المسؤول. المهم أن الحرب مستمرة،والمهم أن تظل كذلك ، نمارسها مرة بالبنادق،ومرة بالحجارة،ومرة بتظاهرة شعبية ومرة بصراع عسكري شامل،ومرات أخرى بأشكال أخرى ، بما يتناسب ومعطيات الظروف وبشكل مستمر يجب أن نمارس الصمود نفسياً وفكرياً ومادياً باعتباره شكلاً من أشكال الحرب ،و رفض الاستسلام،ومنع العدو من تحقيق أهدافه أولاً، وقاعدة لا بد منها لممارسة شكل آخر من اشكال الحرب ثانياً.

إن سورية اليوم تتابع النضال من أجل فلسطين بقيادة القائد الأسد الذي أعاد فهرسة أبجدية نضالنا القومي ووضع فلسطين في رأس أولويات النضال،فلم يتسلل التردد يوماً إليه في الدفاع عن حقوق الشعب العربي الفلسطيني،بل ان السباق دوماً في ضرورة إبراز الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني،وإننا في سورية العروبة ورغم صعوبة وتكالب معظم دول العالم والمرتزقة والخونة والطعنات الغادرة من الكثيرين من الحكام العرب وبعض القيادات الفلسطينية ستبقى فلسطين البوصلة وستبقى المقياس لوطنية وانتماء أي عربي وأن كل ألاعيب القوى المعادية لن تلقى آذاناً لدى أبناء شعبنا العربي المقاوم الذي امتلك البصيرة وكشف الخونة وإن قضاياه الوطنية والقومية لن يستطيع أحد أياً كان المتاجرة بها أو المساومة عليها لأنها ممهورة بدماء الشهداء وستبقى المقاومة عقيدتنا وهويتنا وشرفنا وفلسطين بوصلة نضالنا، ولن نتخلى عن حقوقنا العربية وسنستعيدها كاملة غير منقوصة .

عبد الكريم شعبان..
بين أوزار الرّيح وأثقال القصيدة

• جودي العربيد

ثمة أعمالٌ أدبيةٌ نتمناها، ولا نجدها. وهناك أعمالٌ أخرى كثيرة لا نتمناها ونجدها هنا أو هناك . بل أحياناً تؤذي عيوننا وتجرح استعدادنا لقراءة شيء مختلف. وعلى علمنا أنّ أساس تأثير العمل الإبداعي يرجع في كثير منه إلى الوجدان وهو أهم شيء في هذا الوجود. يذكّرنا هذا بمقولة أبي عثمان من "أنّ الموضوعات مطروحة في الشارع .." كذلك فالوجدانياتُ كثيرة مثلها، وما أسهل استثارتها .. وذلك ليس وحده لتوفّر العمل، ونجاحه إنما هناك أنساقٌ أخرى لا تقلّ أهميةً عنها. أهمّها أمران: الثقافةُ الأدبيةُ الشعرية، والثاني اللغةُ الشعرية. فامتيازُ الشاعر يرجعُ وإلى حدٍّ بعيد " إلى قدرته الدائمة على اختراع كلامٍ جديدٍ لمواضيعَ قديمةَ "بحسب نزار ..

لذلك لا بدّ من أن تواجهنا القصيدةُ بحساسيّتها، وعفويتها، ودفئها، وتوتّرها. وغيرها من أسس امتياز الشعر.

صحيحٌ أن الشعر كلامٌ، ولكنه الكلام المشحون باللهب الخلاق والمغزول بالأعصاب، والملوّن بالدموع، والملموم برموش القلب ليرمينا في بؤبؤ الدهشة. فلا شعر بلا توتّر وانطلاق في المختلف.

فهل حقّقتْ مجموعة "لكي تحمل الريحُ أوزارها" للشاعر عبد الكريم شعبان شيئاً من ذلك؟ وهل استطاع صاحبُها أن ينقلنا إلى أفق الشعر بطراوته، ونداوته، ودفئه؟

إنّ عنوان المجموعة هو عنوان إحدى قصائد الديوان. وهو كذلك سطرٌ شعريّ انتُزع من القصيدة نفسها ص 93. والمغزى الدلاليّ للعنوان ينقلنا إلى ما للريح من معانٍ، ودلالات حيث تحيلنا أيضاً إلى العديد من التأويلات. ومغزى الثورة بيّنٌ ولا لبسَ فيه. وما بين دفتي المجموعة اكتنزت بغير قليل من الشعر الشفيف. فقد اشتغل الشاعرُ فيها على "الشعر" أكثر من انشغاله بسواه من أنساق. كاللغة، أو الصورة أو الرمز أو غيرها. فقد اختفى ذكرُ الأسطورة تماماً. وكان يشغل قصيدة عبد الكريم شعبان أمران : الأول هو الوجدانُ ،وأمّا الثاني فهو الرؤيا. وإنْ خفتَ أحدُهما في مكان فإنّ الثاني يضيء في مكان آخر. فنلاحظ اللوحة الأولى أو الأرجوحة الأولى كما يسمّيها ص5 :

"إليك /لأنك أمي ../ التي أرضعتني الحنين ../ إليك لأنك ابنة المصطفى / ومريم عيسى وأخت الحسين / لأنك ربّيتني كلّ شبر بنذر / ولله يا محسنين " . واضحٌ عدمُ الكلف بالصورة وباللغة الفخمة . فجاء التعبير ساذجاً مضيئاً موحياً مغموساً بماء القلب دون أية رتوش . يذكّرنا بقول ـ ت. س. إليوت : "بأنّ على لغة الشعر أن تقترب من لغة الحياة اليومية ويبقى الشعر في تشكل دائم .." . وأقصد أنّ هذه اللغة تبتعد حيناً في العمق لتقترب حيناً آخر في وضوحها في رحاب شعرية حالمة. وقلما لمسنا في المجموعة تعبيرات جاهزة أو صوراً مستهلكة ويرجع ذلك إلى أنّ الشاعر يترك نفسه لقياد مشاعره في رحابة حقيقية يمتح من نبع الوجدان وحقول الريح تحت شمس طبيعة أخّاذة . وطالما تطالعنا ألفاظ مَن مثل " الحب .. الأمل .. الليل.. الحلم.. العشق.. الفرح.. الصباح .." وما شابه ذلك في ثنايا قصائد الديوان .

ولنتصوّر خلطةً سحريةً من هذه الألفاظ لنخرج منها بأشياء فيها الأمل ، أو اليأس، أو الحب ،أو الموت أو منها جميعاً قائمةً على تيار الحنين إلى صباح جديد .

وأتوقّف عند القصيدة التي أعارت اسمها للمجموعة ص 93 :

" ضريران لم يرشداني إلى مبتغاي / الصباحُ / وهذا المساءُ الضرير .." نلاحظ الابتداء بالاتكاء على الضدّين لتوضيح ما يعتمل في خزّانه الداخلي .. ويتابع بالتورية " أنا الآن في سفر " و" الهواء الذي كان شرقيّه مثلَ غربيّه .."

تبرز اللغةُ الشعريةُ واضحةً في توفّر شتّى أسرار القصيدة كنايةً ــ صورةً ــ لوناً . .. في خيال ورشاقة ،واحتراق في تعبيرات مثل: " الريحُ تعوي .. تحمل الريح أوزارها .. للريح ساقان .. ويدي مثل عكازة .. المسافات تهذي .." .

وعلى حضور إيماءات من التراث ص 98 وتعبيرات لزهير، وأبي فراس ص 101 وغيرها فقد زادت في توهّج الشعر بأناقة لافتة. والقصيدة ذاتية بامتياز، تحكي قصة معاناة حبّ كتيم فيه اللومُ والأذى وفيه الأملُ والألم فأين المفرُّ؟ فاشتعل هوىً ليذهب كلُّ شيء سوى الذكرى. وأرى بأنّ هذه القصيدة إلى جانب قصائد " أراجيح للعشق " من أكثر قصائد الديوان توهّجاً وتمثّلاً للأمرين اللذين ذكرتهما في تمحور المجموعة في الوجدان واللغة الشعرية. وقلما يَقبلُ النصُّ لدى عبد الكريم شعبان

> القصيدة ذاتية بامتياز، تحكي قصة معاناة حبّ كتيم فيه اللومُ والأذى وفيه الأملُ والألم.

في هذه المجموعة تأويلات وذلك كما أرى بسبب عفوية التناول، وسيطرة العاطفة .

وما يستوقفنا في القصيدة نفسها الخيالُ الذي أوحى بالعديد من الصور الخافقة والمبتكرة من مثل :" للريح ساقان شائلتان / ومزامير روحي تئنّ / إضافةً إلى صور مألوفة مثل " الريح تعوي / والمقادير دوني " . يتلاحم كلُّ ذلك بروح شعرية شفيفة . وأمّا رؤاه في هذه القصيدة فقد تركّزت في الحنين إلى ذكريات أليمة حيث يختمها ب " وما أنا إلا حنين تفلّتَ .. / روحٌ تولّه / حتى حدود البكاء " ص98 .

لقد اتّسمت قصائد المجموعة بالذاتية عموماً وبعض من الهمّ القومي كقصيدة " أرجوحة لغزة " ص103 . وثمة بعض الملاحظات منها ترتيب القصائد جميعاً تحت عناوين عامة متّخذة سمة " الأرجوحة " علامةً لكلّ قصيدة أو عدّة قصائد وذا ما يشبه الفصل، فمثلاً في البدء قوله " أراجيح " يأتي بعد هذا العنوان قصيدة واحدة فقط . ثم عنوان آخر " أرجوحة للغياب " وبعدها قصائد ومقاطع ..وهكذا ..فهو تصنيف شكليّ . وأرى بأن غرضه التخفيفُ من غلواء عناوين النصوص وتعدّدها أكثر مما يخصّ الجانب الفني! . وكذلك نلاحظ أنّ بعض القصائد كُتبت بأسلوبين أو شكلين الأول بشكل شعر الشطرين والآخر بشكل قصيدة التفعيلة وذلك ضمن القصيدة الواحدة مثل قصيدة " هذا أنا وهذا رمادي " ص 67 وقصيدة " ضباب على بيت عانا " ص 135 . ويلجأ الشاعرُ شعبان في مجموعته المذكورة آنفاً لتوزيع قصيدة الشطرين بأسلوب قصيدة التفعيلة كما في قصيدة " أرجوحة صغرى " ص31 وغيرها .وثمة قصيدة جاءت بأسلوب قصيدة النثر ص 115 بعنوان "أول الليل " نهضت بأكثر حوامل هذا الفنّ الطارئ على الذائقة العربية .

وأمّا من ناحية المضمون فقد ظهرت القصائد عموماً واضحة ورشيقة، وقلّما نجد غموضاً أو تعقيداً في أكثر القصائد، وتلوّنت بالذاتية كما نوّهتُ وغلبت السهولةُ والعذوبةُ دون تصنّعٍ أو افتعالٍ

> قلما يَقبلُ النصُّ في هذه المجموعة تأويلات وذلك بسبب عفوية التّناول، وسيطرة العاطفة.

. وأرى بأنّ أكثر تلك الصور جاءت بتأثير المخيال الحسّي والواقع المعيش. وممّا يُذكرُ أيضاً بروزُ اللغة الشعرية واضحاً والتضمين واستقاء العديد من الصور والتعبيرات بتأثير ثقافة التراث . كقوله " سقط النصيفُ ولم تُرد إسقاطه "ص 14 من النابغة ،وقوله "وبَي لوعة " ص 98 من أبي فراس . أو قوله "من أم أوفى " من زهير وغيرها من المتنبي .

ومن الملاحظ أيضاً لدى الإمعان في قصائد الديوان لعبد الكريم شعبان الكلف بالطبيعة والمكان . فتبرز ألفاظ مثل " الفجر.. الربيع.. الأرض.. السحاب.. الصحراء.. قيبور.. " ويتردّد ذكرُ قريته – قيبور - في أكثر من مكان وله ما يبرّر ذلك لما لمسقط الرأس من أثرٍ في وجدان المرء وحياته .

وثمّة ما يجرحُ لذّةَ القراءة أحياناً ولا أرى مبرّراً بعد ذلك هو ورودُ بعض الألفاظ مثل " وحدك " في غير حالتها الإعرابية أكثر من مرّة ، مثل ص 96 و ص 153 وأرى بأنها وردتْ في غير محلّها وهي أقصد " وحدك " حتى لو جاءت بحالة التعريف تأتي منصوبةً وتؤوّلُ بنكرة على الحال .

وعلى ذلك فهذه ملاحظاتٌ عابرة ، ولا تشينُ المجموعة ،وقد اصطفى الشعرُ ناصعاً فيها ، ووصل أخّاذاً وانحازت القصائدُ إلى التميّز ،والفرح ، والإقناع.وإذا كان الألم من أهمّ مقاييس نجاح العمل الفني فإني لمست قدْرَه طافحاً عبر استنطاق نصوص المجموعة .

• ــ جاءت المجموعة في نحو من 158صفحة من القطع المتوسط وهي من إصدارات الهيئة العامة السورية للكتاب لسنة 2016 .

في حَضْرَةِ الأنْوَارِ

•عباس حيروقة

مازالَ في الشَّام يَجْلو ناظري بردى
ويَخْفقُ القَلْبُ إذْ ما قاسيـــونُ بدا
وتَرْقُصُ الرُّوحُ رقصَ المولويِّ إذا
ما كانَ في حَضْرةِ الأنـــوارِ مُتَّقِدَا

•••

هي الشآمُ ..على أسوارِ قَلْعَتِهـا
حطَّ الفخارُ ..ولم يبرحْ ..هنا أبدا
والياسمينُ على أبوابِ حارتِهـا
غَطَّى المآذنَ والصَّلْبانَ قَدْ صَعِدا
والليلُ عَتَّبَ بالآهاتِ أحْزَنَهـا
مَنْ شدَّة الوجْدِ صِحْنا كلُّنا : مَدَدَا
ففارتِ الأرضُ مِنْ ألْطافِ كوثرِه
والمُزنُ أوفى لهذي النّاسِ ما وعـدا
فاضَتْ أياديهُمُ قَمْحَاً إذا لَمَسَـتْ
هذا الترابَ ..تراباً صانَهُ الشُهـدا
من وقعِ أقْدَامِهِمْ كَمْ (نُوتة) عُزِفَتْ
وراحتِ الأرضُ تشدوها لألفِ مدى
هم آلُ سوريةَ العُظْمَى فَكَمْ ألفَـتْ
هذي الشموسُ حقولاً قَمْحُها خَلَـدا

•••

يُهدهدُ الغَيمَ نسرٌ كي يلاطفَـــه
فَيَهطلُ المُزْنُ إنْ جُنْحَيهُ قدْ فَـرَدَا
ماذا أُعدِّدُ من آلاءِ جِلَّقنـــــا
هي النجومُ .. فمَنْ يُحصي لها عَدَدا
ماذا أُعَدِّدُ والفيحاءُ تَعْرِفنُـــي
فالْقَلْبُ دَانَ بدينِ الحُبِّ وابتردا
هي الشّآمُ كَمَا الشّهباءُ في ألَـــق
قَدْ صَافَحا النَّصْرَ في حَقٍّ يداً ويدا

•••

سَيحْتَفي الماءُ في بُرْديكَ يا وطني
والطّيرُ يَنفُضُ في جُنْحيهِ قَطرَ ندى
وتَشْهدُ الشّمسُ أنّ العُشّمن عَبَـــقِ
كالياسمينِ..وكم بالياسمين شَـدا
ويَغْسِلُ المطرُ المحبوسُ من أمدٍ
هذي القلوبَ ليعلوها الهَنا أبَـــدا
ويَرْقُصُ الحُبُّ في سَاحَاتِها ثَمِـلاً
فالحبُّ دِينُكَ مُذْ يا شامُ قَدْ وجِـــدَا

علاقة رومانسية بين رجل .. ومدينة

• عبد النبي تلاوي

ربما كنتُ أبكي كثيراً،
وأمشي كثيراً،
وأضحك وحدي قليلاً
قليلاً
لأن البكاء الجهير على
الصحب
في بلد الأشقياء طقوس
ألا ترتدين دمي يا امرأة
وكانت تمدُّ ذؤابة عطر إلى
جسدي
كان سرب الحمام
يحطّ على كتفي من يديها
وكان المطر
رذاذاً جميلاً على شعرها
خمرةٌ ريقها
قلتُ أشرب كأساً
فمالت عليّ بأهدابها،
ومشينا معاً
ذهبنا إلى شارع مقفر
عصافيره غادرت سروةً
لم نجد جذعها، أصلها، فرعها
لم نجد غير ريش ودمع
وطاحونة من دم
ربما كنتُ أبكي كثيراً
لأن التي أمسكت إصبعي
لم تجد شفتي
ناولتني قميصي الملطخ بالدم
والملح والقبلات
وقالت سلاماً
على قلبك المتورم حباً
وكان الرصاص يراقص أشلاءنا
الباقيات
وقالت سلاماً
وكان معي
ناولتني ضفائرها
فركضت كذئبٍ لأصطادها
وأنثاي كانت

وكانت وكانت
وكنا معاً
ذهبنا إلى شارع صاخب
لم نجد غيره
غير أظفاره نحتمي
تحتها
فوقها
بينها
لم نجد غرفة وسريراً من
الغيظ
يطفئ شهوتنا للشجار
وكانت تمدّ ذؤابة قصف إلى
جسدي
كان سرب الرصاص
يمر على كتفي من يديها
وكان الخطر
كطرحة عرس على شعرها
خنجر كفّها
قلت أجرح قلبي
فمالت عليّ بأشواقها
وسقطنا معاً
ربما كنت أبكي قليلاً
وأمشي قليلاً
وأضحك من خيبتنا كثيراً
لأن البكاء الجهير كثيراً
لأن البكاء الجهير على الحب
في بلد (المافيات) جنون
وعربدة
هل أشد جبيني على صدرها
وأغادر على وجهي
سأملأ أدرتي بالرصاص
وأحمل ما ظلّ من وجهها
إلى شارع يحتوي غرفةً
وسريراً من الحب
والشرفات البهيات
أنثاي كانت
ألا ينبغي: أن نظل معاً.

أجراس

•فاطمة علي الجمعة

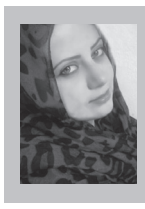

النايُ في بُحَةِ الأنغامِ إحساسُ
و اللحنُ في جنّةِ الأرواحِ أنفاسُ

العمر في منطق الأحلام نشوتُها
كيف السّنونُ لعمرِ القلبِ مقياسُ

صمتُ الدموعِ ترانيمٌ من الذكرى
والعطر نادَمَني حيثُ الرؤى كاسُ

همسُ الشموعِ لنا فيضٌ من النجوى
ترتيلُ أشواقٍ للفجر قُدّاسُ

في صوتٍ من أهوى أنسامُ أغنيةٍ
سكرى تراودني و الدربُ أجراسُ

سرٌّ يؤرّقنا .. شغفٌ يغالبنا
يا ويح قلبَينا إن يعلمِ الناسُ

أمستْ حكايتنا كالخمرِ أُدمنُهُ
و الشوقُ و الذكرى و الحرفُ جُلّاسُ

مقاطع رؤيويّة

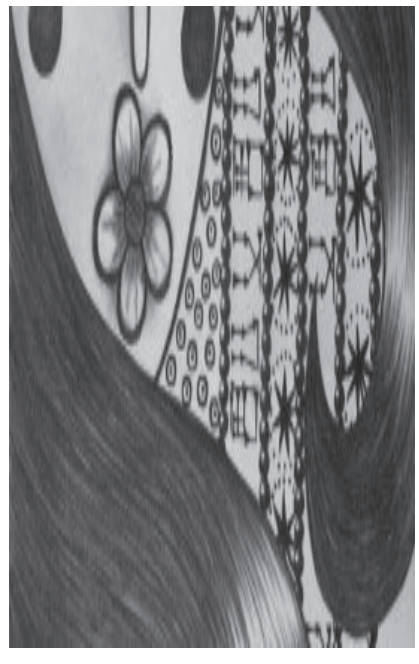

•عماد جنيدي

• حدثيني يا ريح
عن وطن البدء
وعن حدِّه البعيد.. البعيد
إنَّ في نفسي الحنين
إلى السرِّ
على عالمٍ جديدٍ.. جديد
• توضّعي على يدي
سحابةً ودمعه
وعلّميني لغة التكوين
وأشعليني.. شمعه
قبلُ!

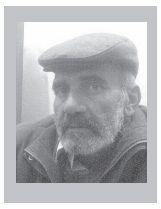

حينما كنتُ خارج الإشارات
والماءِ
ولا قبل أو بعد لي
ولا إيقاع
أقبل الشّاعرُ
الذي يسكنُ الماء والنّار بقلبي
وألقى معادلات انشطاري
دوحةٌ هذه الوريقاتُ
فيها
أنهرٌ تمضي
إلى سرّها الرَّحب
ورجعٌ لسحرها وضّاء
لا تقل لي:
صوتك كان لفةً هائمةً كالسّحر
رؤياك كانت موجةً
عارية طافت قبيل الفجر
وأنت من جبّلةٍ أخرى
لعلَّ الكبر
هواءها
علَّ وعلَّ النّار والجنون
أجنّةً في عمقك
المنسرب المكنون.

الأديبة سُـهار

•غسان حورانية

كان الشهر في يومه العاشر عندما هبط جابر درج منزله تقوده قدماه المتثاقلتان نحو صيدلية مجاورة لشراء أدوية لابنته التي تسببت الإنفلونزا الحادة التي تعرضت لها بالتهاب حاد في أذنيها فكانت تلك الوصفة المحاولة الأخيرة لعلاجها قبل العمل الجراحي الذي سيكلفه الكثير.

تحسس جابر أثناء سيره إلى الصيدلية هاتفه النقال واتصل بزميله في وزارة الثقافة ليسأله إن كانت الموافقة على طباعة المخطوط الذي يحوي مجموعة قصص قصيرة قد تمت أم لا، فزاد جواب صديقه حالته سوءاً.. ولكنه لم يفاجأ بخبر الرفض فقد كان يعلم ما تحتاجه الموافقة على طباعة الكتب إلى معايير دقيقة، وعلى الرغم من ذلك فإن مجلات الوزارة ومعظم الدوريات الأدبية كانت تنشر له معظم نصوصه بعضها بلا مقابل والبعض الآخر بمقابل رمزي لا يكفي لشراء أوقيتين من اللحم في هذه الأيام! مما جعله يعرِّج على العديد من المجلات الفنية والأدبية لعرض خدماته في مجال التدقيق اللغوي والأدبي وما شابه ذلك عساه أن يوفق في العثور على عمل إضافي يسد من خلاله بعض الفجوات ويغطي بعض الالتزامات والمستحقات المتراكمة عليه.

دار بين جابر والصيدلاني حوار طويل تطرقا خلاله إلى أحوال الكتابة والأدب فانتبهت إلى حديثهما سيدة في منتصف العقد الثالث فنزعت عن وجهها النظارات الملونة وانخرطت معهما في الحوار، ثم أعربت لجابر عن رغبتها بمجالسته في مكان ما لبحث عدة أمور ومسائل أدبية،فأبدى بدوره سروره بذلك،فوعدته أن تتصل به في وقت قريب لتحدد موعد هذا اللقاء وأملت عليه رقم جوالها ليحتفظ به وعرفته بأنها تدعى "سمر".

اتسمت خطوات جابر بالتباطؤ والحذر أثناء دخوله إلى منزل سمر، ثم اختار أريكة مريحة في غرفة الجلوس، فجلس عليها وجلست سمر مقابله واستدعت الخادمة فسألت جابراً عن مشروبه المفضل فطلب كأساً من الشاي، وطلبت لنفسها كأساً من الزهورات..

عرف جابر من خلال الحديث أن مضيفته مطلقة وتعيش في هذا المنزل مع ابنتها الوحيدة، وشيئاً فشيئاً بدأت تتبسط في الحديث معه واستغنت عن التكلف الذي اكتنف الدقائق الأولى من اللقاء فأصبح لزاما على جابر الاستماع منها إلى تفاصيل مملة تتعلق بطموحاتها وتوقها لأن تصبح كاتبة قصة وروائية مشهورة، مستعرضة تاريخها الدراسي والأدبي، من خلال بانوراما استمرت قرابة نصف الساعة عبر لغة مهلهلة وألفاظ سوقية وأمثلة لا تنسجم مع فحوى الحديث المتعرج أصلاً بالإضافة إلى بعض التشبيهات السطحية والكثير من المغالطات التي لا تتلاءم مع الموضوع.. فكان دخول الخادمة ومعها الضيافة كطوق نجاة لجابر، عسى هذا التوقف أن يحدَّ من استرسالها الهمجي المخيف.. فأخذت رَشْفة من الكأس وصرخت بالخادمة: ألا تعلمين بأني أحب الزهورات سادة بدون سكر؟! ثم تابعت سيل كلامها بوابل من المعلومات الثقافية لترسخ أمامه إمكانياتها في هذا المجال، فتناولت من الخادمة فنجان الزهورات السادة وهي تعرج على قصص نجيب محفوظ وثلاثيته (المروّعة) على حد تعبيرها.. وعندما لاحظت انفراج شفتي جابر عما يشبه الابتسامة أنست منه القبول والارتياح للحديث فوضعت رجلاً على أخرى وراحت تروي له عن ظروف علاقة الحب التي كانت تربط " نزار قباني بمي زيادة!! داعمة كلامها ببعض الشواهد وأبيات من قصيدة (سكن الليل) التي زعمت بأن نزار قد وجهها إلى مي أثناء وجوده في "كندا".. هذا بالإضافة إلى الكثير من المغالطات والخلط.. إلى أن بلغ بها الأمر أن تشرح له مدى استمتاعها بكتاب "الأجنحة المتكسرة" للروائي "سعيد عقل" وراحت تتغنى ببعض المقاطع من قصيدته "الأطلال" التي غنتها أم كلثوم وهنا أغمض جابر عينيه حتى ملأت الغضون وجهه من هول ما يسمع من خلط وتعدٍ على الشعر والأدب وأهل كل منهما.. وهمَّ بالكلام لينسف دفعة واحدة كل هذا الكم الهائل من الافتراءات وليجعلها على علم بأنها لا تصلح لشيء مما تطمح إليه.. وأراد أن يفهمها بأن نزار قباني ربما لم يكن قد ولد عندما كان جبران يرسل رسائل العشق إلى مي زيادة.. وأراد أن يصحح لها هذا المزج والخلط العجيب الذي جعل من سعيد عقل روائياً وصاحب القصيدة الشعرية المشهورة (الأطلال).. ولكنها أنقذت نفسها في اللحظة الأخيرة وعرضت عليه مشروعاً لشراكة أدبية بينهما.. وذلك بأن يقدم لها مساعدة في كتابة قصصها ورواياتها التي تنوي نشرها في الصحف والدوريات العربية، مقابل مبلغ مغرٍ عن كل نص تكتبه.

لم يستطع جابر مقاومة هذا الإغراء وخاصة عندما

وضع حاجاته المادية في الكفة المقابلة لهذه المغامرة.. وبدورها سارعت على الفور بوضع مبلغ مئة ألف ليرة دفعة أولى كفاتحة مشوار العمل بينهما.

اختارت سمر اسم "سُهار" ليكون الاسم الحركي الذي تحب أن يكون اسمها الفني في مشوارها الأدبي،فكانت في البداية تكتب ما تيسر لها وتدفعه إلى جابر ليجري عليه التصحيحات المناسبة.. واضعة إياه أمام كلمات أبعد ما تكون عن الأدب، بل عن مواضيع الإنشاء لطلاب المرحلة الابتدائية.. ثم أقنعها أن تعدل عن ذلك وراح يسمع منها أفكاراً كان يسكب عليها الكثير من أفكاره لتصبح صالحة لأن تكون قصة أو رواية كاملة.. وشيئاً فشيئاً صار يكتب النصوص كاملة ويقرأها لها قبل أن تمهرها بخاتمها وترسلها إلى النشر.. وكان يتمثل دور الأنثى حتى يستطيع تقمص شخصيتها في الكتابة،وكانت هي تصر على إبداء رأيها ببعض المفاصل البسيطة لتقنع نفسها بأنها شريكة حقيقية بهذا النص،.. بالإضافة إلى أنه كان يكتب لها الإجابات على الأسئلة المفترضة التي يمكن أن توجه إليها حين اضطرارها لإجراء مقابلة أو إلقاء كلمة في الأمسيات الأدبية.

مضى نحو عامين على هذه الشراكة أصبحت خلالها سُهار من الكاتبات المشهورات في المنطقة.. لا تكاد تخلو مجلة فنية أو أدبية من صورة لها على غلافها.

أصرت سُهار مرة على خطأ تعبيري في إحدى القصص التي اختارها لها جابر من مخطوطه الذي كان قد تخلى عن معظم ما فيه من قصص لصالحها مضحياً باسمه وبحضوره الثقافي مقابل انفراج في وضعه المعيشي، ولكنه هذه المرة لم يسمح لها أن تحسم الأمر كما تريد كالعادة، فوجد نفسه مضطراً للصراخ في وجهها لما رآه من صلف وتعالٍ وتشبث لا مسوغ له.. فقررت الاستغناء عن خدماته وإعفاءه من منصبه مفضلة الاستعانة بكاتب آخر.. يكمل معها مسارها الأدبي.

صرف جابر خلال أسابيع قليلة كل ما كان قد ادخره مع سُهار.. وعاد من جديد إلى طرق أبواب المجلات والمؤسسات الفنية والأدبية باحثاً عن عمل، إلى أن رشحه مرة أحد الأصدقاء الموظفين في إحدى المجلات الفنية لمركز عضو في لجنة تحكيم النصوص والمسابقات الأدبية فيها.. وكم كان حزنه كبيراً عندما أخبره الموظف برفض رئيس التحرير مقابلته، في الوقت الذي تم قبول من كان يعتقد أنهم أقل منه كفاءة.. فانتابه دافع غريب لمعرفة السبب، فاقترب من باب رئيس التحرير ووضع يده على مزلاج الباب فإذا به لا يفتح إلا من الداخل، وتزامن ذلك مع وصول عامل "البوفيه" يحمل على الصينية كؤوساً ممتلئة، فطرق الباب الذي فتح من الداخل فدخل لتقديم الطلب، فسمع جابر من الخارج صوت رئيسة التحرير تأمره بوضع الكأس والانصراف.. كان الصوت مألوفاً لدى جابر.. فخطا ثلاث خطوات إلى داخل المكتب فجحظت عيناه وهو يتأمل ذلك الوجه الذي لا يمكن أن تخطئه عيناه.. والذي لم تغير ملامحه كثرة مساحيق التجميل.. ومع ذلك فقد تردد قليلاً بالنطق باسمها، فكان بحاجة إلى أن يقطع الشك باليقين.. وكان له ذلك عندما علا صراخها وهي تصيح بالمستخدم بعدما رشفت من كأسها الرشفة الأولى قائلة: ألا تريدون أن تفهموا أني أشرب الزهورات سادة بلا سكّر؟!.

العيش الدافئ

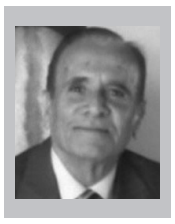

•خالد بدور

أنت العصيَّة في الأُلى
والحسن يبدو قاتلا
واللَّطفُ عندكِ ساحرٌ
يسبي عقولاً كُمَّلا
ورقيق ثغرك كالنَّدى
يشفي السقيم المبتلى
من نال وصلك مسعدٌ
بلغ السَّعادة والعلى
وعظيم حُبِّك شاغلي
عرش الفؤاد قد اعتلى
لا تخذليه فإنَّه
يهفو لصدرك آملا
أن تحضنيه بلهفةٍ
ليكون حبَّاً كاملا
فالحُبُّ عيشٌ دافئٌ
تغدو المعيشة أجملا
إنَّ الوفاء سجيَّةٌ
تعطي النُّفوس تفاؤلا

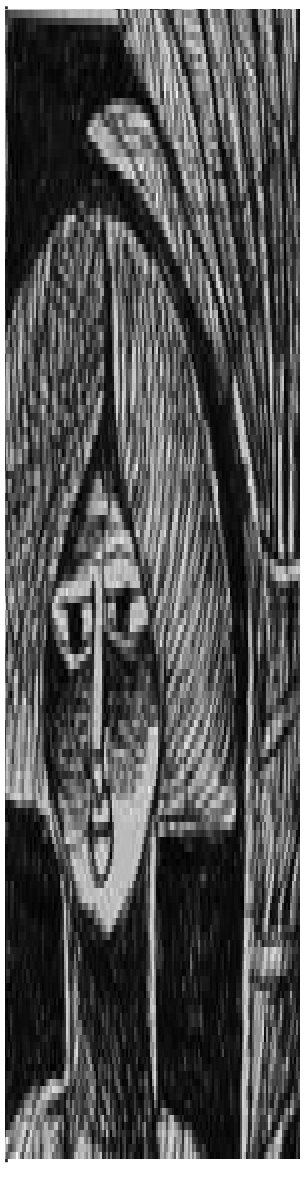

قصيدتان

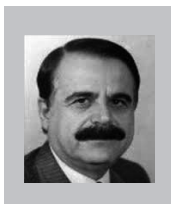

•د.عيسى درويش

الزهد والحياة

زاهداً صرت.. وصار الزهد.. طقساً في حياتي
واختصرت الكون في روحي وذاتي
واعتزلت الناس إلا عاقلاً
واحترام العقل من أعلى الصفات
وبدا لي الكون نوراً مطلقاً
وبدنيا الحب زينت حياتي
وكتابي صار درباً للهدى
وأراه ماثلاً في الصفحات
وعيوني لا ترى إلا السنا
في بدور ونجوم مشرقات
وأنا أبطنت ما كان بدا
ظاهراً في أرضنا من ظاهرات
فغدوت الكون في مطلعه
وتحولت نجوماً نيرات
واتحدنا الظل والأصل معاً
واختلفنا في معاني الكلمات
ليس من أعلى وأدنى بيننا
نحن من جاء لإتمام الحياة
وخلقنا الموت كي نجعله
لحظة الوصل بإعلان الوفاة
وحياة بعده وارفة
حيث لا ماض بها يفضي لآتي

الأرض والخراب

فكرت في هذا الثرى مرة
وكيف يعطي الرزق أو يطعم
وما يفعل الإنسان في أرضه
من سيء الفعل وما يجرم
كم خرب الأرض وما فوقها
وفي قطعة الأشجار لا يرحم
وكم لوث البحر بأوساخه
وعكر البحر بما يردم
وأخرج الأجواء من صحوها
لا غيم من غازاته يسلم
صارت بها الأنهار موبؤة
والماء في طيّاته العلقم
يا أيها الإنسان رفقاً بما
أكرمك الله وما تكرم
الأرض ملك الله في أمره
تسري وتسري حولها الأنجم
لابد من يوم عظيم به
تبكي وفي حسرة تندم
الأرض أم لا تدع قلبها
يقسو، ويأتيك البلى الأعظم
فكن رحيم القلب مستغفراً
في حق من أذنبت هل تفهم؟
هذا الثرى منا ونحن له
في قمة النعمى به ننعم

مرايا النور

• وليدة عنتابي

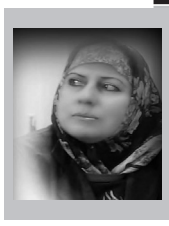

طارت الجدران حولي
نورستْ كلّ اتجاهْ
حطَّ ملحي فوق موجي
وغزاهْ
أيها الجمر المنادي في دم
الصلصالِ
غرّدْ في سماهْ
للتجلّي والتخلّي في مرايا النورِ
أجلو هاجس السيّالِ يجتاح
انفصامي
كلّما فصّلت ثوبي من خيوط الرّيبِ
أخرج من سلامي
كلّما أمعنت في ردم ركامي
بعثر الصبح ظلامي
واعتمرتُ البرقَ أرفو
في هنيهات التكثّف ما تخلخل من
عظامي
أيها الصّمت المفارقْ
ردَّ عن سمعي المطارقْ
وتمرأى ببهائي
وتنرجسْ أيها الجاثي على سطح
انجلائي
شقَّ أستار الرؤى
واجتلِ خبءَ السرائرْ
إنّ رقصي أيها الإيقاع
فيضٌ كهربيُّ
فاتّقِ صعقَ المنائرْ
أنت يا وجدي المبعثرْ
حينما الكشف قناعٌ
بالقناعات تسمّرْ
يجتوي عمري السؤالُ وأستقيلْ
كلّ ما في جعبة الأحلامِ عيلْ
أيها السيف المسلّط فوق رأسي
ابق في وضعِ الإلهْ
إنْ هويت عليه __قطعاً__
سوف يلغيكَ مداهْ

حلب

• رياض حسين علي

شهباء طيفك زارني برقادي
واستلَّ من بين الضلوع فؤادي
وهمى على المشتاق يطبعُ قُبلةً
تثرت عبير الشوق فوق وسادي
اللّهُ ما أحلى زيارةَ طيفها
من غير توقيتٍ ولا ميعاد
لما يجيء مع النسيم مبكراً
أو فوق أجنحةِ السحاب الغادي
قلْ للذي قد لام قلبَ متيمٍ
في حبِّها ما شأنُهم حسادي
لن تطفئوا بوحَ الغرام وسحره
فاللّوم لا يقوى على إخمادي
ما إن أودع للرحيل ترابها
حتى تشبَّ النار تحت رمادي
أنا كلّما اتجهتْ لأرضِ همّتي
حلبٌ تكون هناك بالمرصاد

زائرة المساء

• هدى وسوف

كان الباب الخشبي مفتوحاً بشكل موارب، وعبره يستطيع الناظر أن يشاهد فسحة الدار الترابية مزدانة بالورود والأزاهير الملونة والنباتات الخضراء وراحت فم السمكة تزهو بأكثر من لون، أما الأضاليا البرتقالية فقد أخذت الحصة الأكبر، في حين كونت شتلات الحبق ما يشبه السياج لهذه الحديقة الصغيرة، التي مثلت إغراء للزائرة وجعلتها تتسلل عبر فتحة الباب يغريها الاخضرار وتجذبها الألوان..

الطقس خريف والوقت قبيل مغيب الشمس وينحو صوب العتمة.. وعلى عتبة الغرفة الوحيدة في الدار جلست (نوال) تتأمل ورودها وتبحر في همومها، فمنذ شهرين فتحت المدارس أبوابها وبعد قليل سيعود الأولاد إلى البيت، بعد انتهائهم من اللعب في الحارة، ويجب أن يأكلوا، أن يتناولوا ما يسمى وجبة العشاء، ومثل كل الأولاد يفترض بهم غسل أقدامهم من الغبار، وارتداء مناماتهم واستكمال كتابة وظائفهم ومراجعة دروسهم قبل أن يأووا غلى أسرة دافئة.

لكن أولاد هذه الدار لا يخضعون لهذه الترتيبات، باستثناء غسل الأقدام إذ لا يوجد لديهم ما يسمى بالبيجامات، لذلك كانوا ينامون بملابس النهار نفسها، أما وجبة عشاءهم فكانت دوماً تشبه وجبة فطورهم، وتتألف من الزيت والزعتر والشاي، وبالنسبة للزيت فهو طبعاً ليس بزيت الزيتون وإنما بالزيت النباتي.. أما الزعتر فهو من النوع التجاري الرخيص، لونه وطعمه يشبهان التراب إلى حد كبير.

يتناول الأولاد هذا الفطور وهذا العشاء منذ مدة طويلة، ولا يعترضون على طعم أو لون، قد يحدث أحياناً بعض الانفراج فيدخل البيض مع إحدى الوجبتين، ويشكل في هذه الحالة مسألة ترفيهية، لذلك عندما دخلت الزائرة عبر الباب الموارب، ابتسمت لها (نوال) مرحبة، وقد أضمرت في نفسها نية، (نوال) ليست شريرة ولم تكن كذلك في أي يوم مضى، لكنها نوت الشر لضيفة الدار التي ضلت دربها قبيل هذا المساء، فأطبقت عليها بكلتا يديها ومضت بها إلى المطبخ وأغلقت وراءها الباب، ملأت قدر الألمنيوم بالماء ووضعته على النار، سيغلي الماء ريثما تنجز المهمة الأساسية..

(نوال) ابنة الثامنة عشر، وجدت نفسها في يوم وليلة مسؤولة عن أربعة إخوة تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة والثانية عشر من العمر، أخذت دور الأم والأب معاً في تربيتهم، إذا كما يحدث في الحكايات في الحكايات فقط، ماتت الأم بسبب مرض ما وتزوج الأب وتخلى عن مسؤوليته اتجاه أولاده..

الزوجة الجديدة صغيرة في العمر وجميلة، طلبت استقلالها في بيت يخصها، ووجد الأب نفسه مضطراً لاستئجار مسكن لها وراح يقسم راتبه الضئيل، راتب العامل البسيط بين الأسرتين.

كان هذا في البداية، فمع الوقت لم يعد يمدهم بشيء وحرمهم حتى من الليرات القليلة التي كان يزودهم بها أول كل شهر دونما إحساس بالذنب أو تأنيب الضمير، متذرعاً أن (نوال) باتت منتجة، وتتقاضى راتباً بعد أن حصلت على عمل تركيب الأزرار والكلف في معمل الخياطة. وها هي الآن وقد أنجزت مهمتها، عادت تجلس على عتبة الباب، تنتظر عودة إخوتها، وعندما أتوا، ابتسمت في وجوههم راضية.. حين دخل الأولاد تناهت إلى أنوفهم رائحة طعام شهية على غير العادة، وكانت بانتظارهم وجبة لذيذة ودسمة، لم يحظوا بمثلها منذ أمد بعيد.. تعشى الأولاد تلك الليلة وناموا بعد أن شبعوا طعاماً ورضى.. لم يسألوا عن مصدر الوجبة، فقد اعتادوا ألا يسألوا في كل الحالات..

في الصباح وفي طريقهم إلى المدرسة، رافقتهم سوسن ابنة جيرانهم وراحت تحكي (لمنى) وتشتكي أنهم البارحة فقدوا إحدى دجاجتهم الخمس، وكانت حزينة لأنها كانت تحبها أكثر من كل الدجاجات.. قالت: بالتأكيد أكلها الثعلب، ألا تعرفينها يا منى دجاجتنا الحمراء ذات العرف الطويل، هل تذكرينها؟

هزت منى رأسها وردت بأسى، بلى أذكرها كنت أحبها جداً.. دجاجتكم ذات العرف الطويل.

استنساخ

•محمد عزوز

هو ديك ككل ديوك الدنيا، ليس في شكله ما يميزه سوى شموخه المبالغ به، ولكنه ليس مثل هؤلاء الديكة يصيح مع أول خيط للنهار فقط، بل يبدأ صباحه منذ منتصف الليل تقريباً، ويواصل هذا الصباح حتى غادر إلى عملي في السابعة صباحاً، وهو لا ينسى حسب رواية الجميع أن يعلن عن نفسه بعدة صيحات خلال أوقات النهار، وتهتز مع نبرات صوته في منتصف الليل أركان بيتي، فأفيق.. وأفكر أنني إذا أعلنت له عن حضوري، يحس بي، فيصمت... أصعد إلى سطح البيت في هذا الوقت الحرج، تلسعني برودة الليل في هذه المدينة الموغلة ليلاً في الصقيع، يتجاهلني بعد أن أظهر بكامل جسدي مطلاً على الخرابة /المزبلة التي يفخر بانتمائه إلى تفاصيلها، ويحاول أن يشل نفسه بالبحث عن شيء ما يأكله في ميدانه هذا.. يطمئنني بانشغاله، لكن فترة هدوئه لا تمتد طويلاً، فقبل أن تغمض عيناي من جديد، يعاود الصراخ بقوة أكبر..

ومما يثير حيرتي واستغرابي، أن صباحه قد يعلن عند الظهر أحياناً، أو في أول الليل.. وكل هذا الصياح لم أكن أهتم له كثيراً، المهم ألا يصيح في أوقاتنا الحرجة.

وعندما فقدت الأمل في تغيير نمط وتوقيت صياحه. تدخلت لدى صاحبه الذي أجابني كمن أعد كلامه قبل حين:

- الديوك توحد الله يا أخي..

- ونعم بالله.. نحن نوحده في كل الأوقات..

- وهو كما ترى ديك صالح يوحده في كل الأوقات أيضاً..

ثارت ثائرتي:

- يا أخي لماذا لا يوجد صامتاً..؟ أكاد أجن.. إنه يهز أساس المنزل بهذا الصراخ الغريب..

- وماذا تريد مني أن أفعل..؟

صمت قليلا بعد أن واجهته زفراتي الصامتة ثم اقترب من أذني وهمس بها:

- إنه يا أخي فحل حقيقي؟؟، أنا لا أستطيع الاستغناء عنه، ستدعو دجاجاتي على أنا فعلت..

- يا أخي أنا أشتريه منك.. وبالسعر الذي تحدده.. وأشتري لك ديكاً آخر بدلاً منه.

ارتخى عند سماع عرضي..

اشتريت الديك، وهبته لوجه الله الذي كان يوحده، وتساهل معي في شراء الديك البديل بحجة أن لديه عدة فراخ فتية تناسلت منه..

ومضت ليلة، ليلتان، وربما أكثر، وبدأت أسمع صوت ديك آخر.. بدا صوته مقبولاً في البداية، وتقيد بمواعيد الصياح المعتادة للديوك.

وبعد أن مرت أيام أخرى، صار يأخذ مكان سلفه، وبدأت تظهر ملامح الخشونة في صوته واستطعت أن أميز ذات البحة، فهتفت:

- إنه هو.. هو ذاته..

وصار يعلن صراخه في ذات الأوقات التي اعتدتها من سالفه..

فريق (إيقاع الحياة)
ورحلة مع الفن في الطبيعة

حوار: غنى خالد منصور

أشجارٌ في حديقة المنشية لا يقل عمر الواحدة منها عن المئة عام باتت تشد أبصارنا نسقيها بنظراتنا المتلهفة.. وتثمر فينا أسئلة ودهشة وتزهرُ فينا حنيناً لذكرى.. إنها دمشقياتٌ باسقات خلعت عباءتها الخضراء لترتدي وشاح حكايات الأساطير والحواري الدمشقية ووجوه العابرين ونظرات الحالمين.

أطلقت كلٌ من وزارة التربية ومحافظة دمشق بالتعاون مع اتحاد التشكيليين السوريين مشروعاً لإحياء أشجار دمشقية ميتة بالفن وذلك في حديقة المنشية وقد انتهى فريق (إيقاع الحياة) منذ أيام من أولى محطات مشروعه الفني (حياة شجرة) وقد التقينا بعض أعضاء فريق العمل الذي يقوده الفنان التشكيلي (موفق مخول) وكان لنا معهم الحوار الآتي:

- هل هناك حدود زمانية أو مكانية تنحصر ضمنها الحكاية التي ترويها الأشجار التي تم نحتها؟ وما هو الأسلوب الفني الذي اتبعتموه لخدمة خصوصية هذا العمل الفني؟

رجاء وبي: يهدف العمل إلى ربط الماضي بالحاضر لشجرتين تحملان ذاكرة وطن وأفراد.. وقد اخترنا أشجاراً في حديقة في وسط العاصمة دمشق مقابلة لنهر بردى وللمتحف ولجامعة دمشق لابدَّ أنها كانت جزءاً من ذكريات فئات عمرية واجتماعية متعددة من المجتمع السوري. الناس عادةً يشاهدون الأشجار تنمو واليوم الناس يشاهدون هذا العمل الفني ينمو يوماً بعد يوم ونأمل أن نلامس روح الإنسان والإنسان السوري خصوصاً.. فالفن عبارة عن مجمل أحاسيس تترجم إلى عمل يختزنها ويبثها كمنارة إلى الآخرين. وبالنسبة للأسلوب الذي اتبعناه فقد بدأنا العمل بصورة تدريجيّة فكان لدينا الأسلوب الهندسي المعماري، ومنه انتقلنا للأعمال النحتيّة الأخرى وهو ما له علاقة بصورة أو بأخرى لإعادة الإعمار في الوطن، فبصورة رمزيّة توحي تدرجات الأعمال إلى ذلك. وفي قسم واضح من العمل هناك انتقال نحو الأسطورة السوريّة والتاريخ السوري من القديم إلى الحديث، لكننا اهتممنا بالجانب الحضاري لتأكيد الهويّة السوريّة وذلك من خلال الرموز السومريّة والآشوريّة والنقوش العربيّة والخصوصيّة السوريّة، وإيحاءات كثيرة، وقد لاحظنا ردّة فعل الناس متأثرين بما نقدمه ونشكّله، فيأتي كلّ يوم من يسأل ومن يراقب ومن يستفسر ومن يتأمل فالمكان يعجّ بالناس ويستقطب المزيد من الالتفاتات والفرجة، وهناك فكرة أريد إضافتها وهي أحد جوانب العمل الذي نقوم به وهو كسر ما يُشاع بأن الفنان بعيد عن الناس ويمكث في برجه بعيداً عنهم.

- من أين جاءت فكرة هذا المشروع وما هي أبرز ميزات العمل في وسط حيوي مكشوف؟

- هناك محاسن ومساوئ للعمل في موقع حيوي حيث نحاول تفادي العمل في ساعة تكون الشمس فيها في ذروة توهجها خاصة بعد أن أصيب الزميل هشام المليح بضربة شمس واضطررنا إلى إيقاف العمل وإسعافه إلى المستشفى. ولكن حين ترى الطفل يستوقف عائلته ويشير إلى عملك وأن ترى رجلاً عجوزاً يراقبك بالشغف ذاته أيضاً وخاطبين يبحثان في النقوش عن قصة تشبه قصة حبهما.. فتلك اللهفة وتلك الابتسامات تجعلنا ننسى تعبنا وتعزز حس المسؤولية لدينا تجاه هذا العمل الذي يتمتع برمزية رفضنا للموت.. وإصرارنا على البقاء في أرض الوطن وما نريده أن يفتح الفن ذراعيه ويضم السوريين إلى أشجار أرضهم وأن يبقى كل من له جذور في هذه الأرض صامداً فيها.. كما أردنا الإبقاء على هذه الأشجار حيث أن المشروع برمته قام حين رأى الأستاذ موفق مخول عُمال المحافظة يوشكون على قطع هذه الأشجار العجوز وقال لنفسه إن لي ذكريات في ظلالها ولابدَّ أنها تحمل ذكريات للكثير من النَاس ولعل الحديقة لن تعود كما كانت باختفاء هذه الأشجار.. فقرر أن يمنحها حصانة بأن يلبسها ثوب الفن.. هكذا يكون تفكير الإنسان السوري وليس ذلك الذي ينسف ويفجر أو يسرق من جهة أخرى آثار بلاده ودلائل حضارتها.

- لو كان لك الخيار بأن يتم عرض هذا العمل الفني داخل صالة من صالات معرض عالمي.. وبين بقائه هنا في الهواء الطلق ماذا تختار ؟

- هشام المليح: أنا شخصياً أرفض عرض مثل هذا العمل داخل صالة أو أي مكان مغلق، لأن هدفي من هذا المشروع هو محاكاة الشارع وخلق حوار فكري ثقافي بصري يتناغم مع إدراك معنى الفن على خير وجه عندما يكون في الطبيعة.. ولا يمكن للفنان الحقيقي أن يتخلى عن المجتمع، فالمجتمع هو جزء لا يتجزأ من أي عمل إبداعي، أنا دائماً ابحث عن لغة بسيطة بشكلها الخارجي وهذا ما يدفع المتلقي للبحث في مضمون الشكل، فمن خلال مشروع (حكاية شجرة) الذي نقوم به حالياً نحن دائماً في حالة خطاب مع كل ما يحيط بالعمل.. فهذا العمل بمثابة كتاب مقروء بشكل دائم، يقدم وعيا للمجتمع.. ونحن بعيدون كل البعد عن الفن الرأسمالي، فالإنسان الشرقي هو إنسان عاطفي سهل التأثر بالأشياء المحيطة. والفنان برأيي دائماً هو إنسان خالق للواقع الاجتماعي المتطور، ولعل مشروعنا الفني يندرج في إطار الثقافة الشعبية التي تخلق شكلاً من أشكال الحوار مع الناس.. وهذه السمة ميزت أعمال فريقنا (ايقاع الحياة) منذ تأسيسه وحتى الآن.

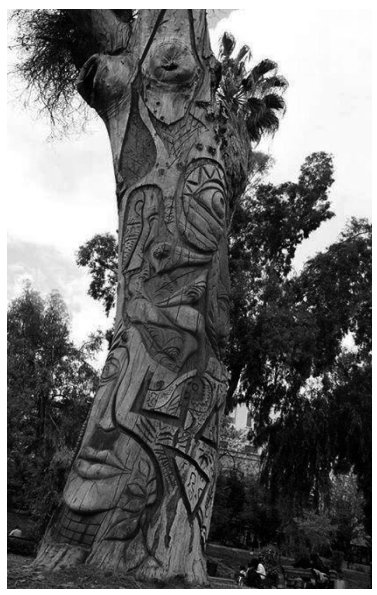

- أما الفنانة صفاء وبي فقالت في هذا الصدد:

قد لا يمتلك الجميع ثمن تذكرة تخوله دخول صالات معرض عالمي وقد لا تفكر مجموعة من الأطفال - مثلاً - بارتياد أماكن كهذه لكن هنا نحن نساهم في تعزيز العلاقة بين الشارع السوري بمختلف مكوناته والفن. وليس هناك ما يسرُ الفنان أكثر من كون عمله الفني في معرض دائم ومفتوح.

- هل تطغى على عناصر هذا العمل روح ورموز الأسطورة أم مفردات مشهدية نعايشها في واقع اليوم، وما مدى صعوبة جمع الواقعي والأسطوري ضمن عمل فني واحد؟ وإذا اعتبرنا هذا العمل مدونة فنية لما تعيشه دمشق.. فالسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان كم من الزمن يمكن أن يعيش هذا العمل الفني قبل أن يتآكل وتنطمس معالمه؟ هل هناك مواد تضمن بقاءه؟

- هشام المليح: نعم.. إن عملنا الفني هو توثيق وإصرار على أن الهوية السورية والرموز السورية والآلهة السورية باقية حاضرة، نحن نقوم بإعادة ترجمتها بأسلوبنا الخاص نحن دائماً مع رفع راية الجمال وقدسية الفن، إن العلاقة المتبادلة بين المضمون والشكل تعد من القضايا الحيوية في الفن ، بل إنها من القضايا الحيوية في غير الفن أيضاً، فالشكل هو الجانب الجوهري من الفن وسمو الشكل الأعلى والجانب الروحي أيضاً. كما أن الشكل هو تعبير عن حالة الاستقرار التي يمكن بلوغها في وقت معين والصفة المميزة للمضمون هي الحركة والتعبير. مع الزمن عندما تتآكل الأشكال التي نحتناها تساعدنا الطبيعة هنا بطرح أفكار وتكوينات جديدة تحكي قصة زمن، بالتالي نحن لا نخشى تأثيرات الزمن غير المباشرة، لأنها تعطي العمل ثقلا زمنيا، كقطعة المجوهرات التي كلما طال عمرها ارتفع ثمنها. تأثيرات الطبيعة على المادة هي تأثيرات إيجابية حتى ولو بفناء الشكل، لأن الطبيعة هي التي تصدر أحكامها على الأشكال بوجود الشكل أو بفنائه. فكرة تحول الشكل عبر السنين هي فكرة جديرة بكل الاحترام، كل ما هو واقعي في هذا الزمان قد يغدو غير واقعي في زمن مستقبلي آخر، ففكرة التحول هي فكرة تخدم واقعية الشكل مع الزمن الموجود فيه. لا يمكن لي تحديد زمن معين للشجرة، فهي بحاجة بشكل سنوي للمواد العازلة، وللحفاظ على بقاء العمل أطول مدة ممكنة سنقوم بعملية عزل جسم الشجرة بمادة الزيت وبخها ببعض المبيدات الحشرية لكي تعيش أطول مدة ممكنه، فخشب الكينا الذي نقوم بالنحت عليه هو خشب صلب مقاوم للعوامل الجوية.

كثيرةٌ هي الأشجار التي نقش على جذوعها ذكريات عاشقين.. أو أصدقاء ، وحملتها نحو السماء مع مرور السنين واليوم هو إمضاء الشام فناً ، حيث حكايات سورية تُعرّش وتصعد نحو الشمس فناً يشبك أصابعه بأصابع السماء.. وفي حين هاجر الكثيرون مازلنا نرى الأكثر باقين وهاهم فريق (إيقاع الحياة) الذين سبق لهم أن مارسوا أعمالا فينة باتت جزءاً من العلامات المميزة لمدينة دمشق. قد شبكوا أناملهم ، أذرعهم بأغصان أشجار أرضهم كي يكونوا معاً لسان هذه الأرض ويبقوا للحضارة حكاية.. تلك الحكاية التي تلقي بظلالها على المارة.. ذكريات ورؤى.. أشجارٌ كانت ميتة واليوم تعشش فيها النَظرات، وهديل الحواري، وتغريد نوافذ البيوتات الدمشقية.

المشاريع الإقليمية.. وغاياتها

• عيد الدرويش

تشكل القضية الفلسطينية قطب الرحى في الصراع الذي يدور بين الشرق والغرب، فمنذ إعلان الكيان الصهيوني دولته في فلسطين التي سبقها ترتيب وعمل سري مع تآمر دولي وزحف بشري، وتنادى إليها كل ممن ينتمي زوراً إلى الدين اليهودي في العالم، مما شكّل كتلة بشرية كبيرة وصلت إلى اتخاذ قرار التقسيم رقم 181 في عام 1947م، بين الفلسطينيين واليهود، وفي لحظة كان العرب منهكين في حروبهم مع الغزاة الجدد وخارجين من سبات عميق من تحت نير السلطنة العثمانية، وهي الأخرى التي بنت أمجادها على أجساد ودماء وخيرات هذه الأمة، والآن تستعيد شهوتها في مرج جرابلس بعد 500 عام بالتمام والكمال من مرج دابق، لأن أغلب العرب أصبحوا مماليك، والفارق الوحيد أن سورية نظيفة من المماليك.

لم يستقر حال الكيان الصهيوني في فلسطين، في ممارسته ومواصلته قضم الأراضي، والسيطرة والتهجير والطرد لأبنائها، كما لم يستقر الحال للشرفاء من هذه الأمة، لما يجري على أرض فلسطين، وسورية منذ أن وقعت النكبة إن لم نقل قبل ذلك، تصدت لتلك الحملات التي نالت من القضية الفلسطينية، والدليل على ذلك ثورة عز الدين القسام في ثلاثينيات القرن الماضي، وعند وقوع النكبة تطوع الكثيرون من أبنائها بما يسمى جيش الإنقاذ للدفاع عن فلسطين وحماية مقدساتها.

للقدس مكانة خاصة في نفوس العرب والمسلمين، وموقع المسؤولية والقداسة لها، تنبع من الواجب على كل فرد مسلم بالدفاع عنها، وهذا فرض عين، ولا تكتمل مناسك الحج لكل مسلم، إلا بزيارة القدس، لأنها أولى القبلتين وثالث الحرمين، وبالمكانة نفسها والموقع ذاته هي في نفوس المسيحيين.

من تلك الأهمية عملت الصهيونية العالمية، وبدعم غربي، ودفعت بكل ما تستطيع من قوة وبأس لتفتيت القوى، وإجهاض كل الحركات التحررية التي تنادي بعروبة فلسطين وعودتها لأصحابها، وهذا ما نصّت عليه الكثير من القوانين في أروقة الأمم المتحدة، التي هي الأخرى أصبحت بيد الصهيونية، وكل قراراتها تصب في صالح الغرب، وسيطر عليها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق.

وبالعودة إلى حق العودة، والذي يستند إلى القوانين التي رسمت في كواليس الأمم المتحدة، قرار الجمعية رقم 194 في ت2 عام 1948م، الذي يتضمن حق العودة للاجئين الفلسطينيين، ويتضمن 15 بنداً منها:

البند -7 حماية الأماكن المقدسة، وحرية الوصول للمواطنين الفلسطينيين إليها.

البند -8 نزع السلاح وفرض سيطرة الأمم على مدينة القدس.

البند-9 حرية الوصول للقدس.

البند -11 حق العودة للاجئين وحق العودة إلى أراضي 1948م، وحق التعويض عن هجرتهم من وطنهم وذريته أن يعودوا إلى أرضه، ويأخذوا التعويض عن الهجرة القسرية.

يستند حق العودة إلى القانون الدولي المعترف به عالمياً، وغير قابل للتصرف فيه، ومكفول بمواد الميثاق العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر في عام 1948م، وينص في الفقرة «13» على الآتي: لكل فرد حق مغادرة أي بلد، بما في ذلك بلده، وفي العودة إلى بلده.

إن حق العودة، حق غير قابل التصرف به، وحق شخصي ولا يسقط أبداً، إلا إذا وقّع كل شخص بنفسه، وبملء إرادته على إسقاط هذا الحق عن نفسه فقط، مثل باقي حقوق الإنسان، لا تنتقص بمرور الزمن، ولا تخضع للمفاوضة أو التنازل، كما لا تسقط أو تعدل أو يتغير مفهومها في أي معاهدة، أو اتفاق سياسي من أي نوع، حتى إذا وقعت على ذلك جهات تمثل الفلسطينيين، أو تدعي أنها تمثلهم، والمساس بحق العودة هو دعم الطرف المقابل»إسرائيل»، فضلاً عن أن منظمة التحرير الفلسطينية تم تأسيسها على حق العودة.

عملت الصهيونية العالمية لصالح «إسرائيل» على الضغط من خلال «اللوبي الصهيوني» على أكثرية أعضاء المنظمات الدولية والإقليمية، من أجل تحييد المطالبة بحق العودة للشعب العربي الفلسطيني، والعمل على تقاعسها في تطبيق القوانين الدولية وحتى المطالبة بها أو إثارتها في المحافل الدولية

- هيئة الأمم المتحدة التي طغى عليها سيطرة الغرب، وخدمة لمشاريعهم الاقتصادية والسياسية، ولم تعد مهمة هذه المنظمة سوى تحويل الدول إلى مخيمات، والشعوب إلى لاجئين فقط، حتى يتنازلوا عن أوطانهم، وهذا ما تفعله مع الشعب الفلسطيني اليوم.

- جامعة الدول العربية، وهي الأخرى التي أخذت على عاتقها بأغلبية أعضائها التطبيع مع «إسرائيل» وهذا من المشاريع الفكرية والسياسية في مواجهة حق العودة، ولم تعد تدافع عن القضايا العربية ولم تهتم بمشاريع العمل العربي المشترك.

- أما منظمة المؤتمر الإسلامي، وهي الأخرى لم يعد من اهتمامها الشأن الإسلامي وحماية مقدساته، أو حال المسلمين في العالم، في حين أن القدس هي ملك ووقف للعالم الإسلامي والمسيحي، والدفاع عنها هو فرض عين على كل مسلم ومسيحي، ما دور مليار مسلم ينضوون تحت اسم هذه المنظمة، في تحريرها وإعادتها للعالم الإسلامي، وإعادته شعبها الذي هُجر عنوة، وأجيالنا شهدت ذلك أمام أعينهم، وليست هي سجال وروايات حدثت وتم تزويرها، وأكدتها المواثيق الدولية وقرارات الأمم المتحدة..... فهل يكتمل حج المسلمين وتتم مناسكه بدون زيارة المسجد الأقصى؟ لأنه أولى القبلتين وثالث الحرمين، وهل تستطيع منظمة المؤتمر الإسلامي القيام بهذه المهمة لإعادتها لأصحابها؟.

- العمل على تحويل قضية فلسطين إلى قضية إنسانية ليتم حلها في العالم بعيداً عن «إسرائيل»

كما تعمل «إسرائيل» مع بعض الدول العربية لتقاسم المسؤولية، من خلال المشاريع والأحلاف والعلاقات الحميمة فيما بينها وبين «إسرائيل»، لاستيعاب اللاجئين الفلسطينيين في المجتمعات التي يعيشون فيها، وطرح مشاريع اقتصادية تهدف إلى تنمية البلدان التي يقيم فيها هؤلاء اللاجئون، وصولاً إلى الجيل الثالث من أهل فلسطين الذين خلقوا خارج أرضهم، وكل ما تعمله الصهيونية العالمية هو العمل على ضمان أمن «إسرائيل» من أجل تثبيت وجودها على الأرض والحفاظ عليها، وضمان مصالح الدول الغربية والتي تتقاطع مع مصالح «إسرائيل»،والعمل على طمس القضية الفلسطينية وضياعها، من خلال اختزالها بقضية اللاجئين، وحلها في عملية التوطين.

إن كل ما شهدناه من مشاريع استعمارية تحيق بالأمة العربية بشكل عام، والقضية الفلسطينية بشكل خاص، لأنها القضية المركزية لسورية وللعالم الإسلامي، وبدأت قوى عربية وإسلامية تتحالف من أجل مقاومة هذا المشروع الصهيوني في فلسطين، وهذا ما عملته سورية عندما تبنت أسلوب المقاومة، وحق العودة للشعب العربي الفلسطيني، والدفاع عن المقدسات، وازداد رسوخاً، وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، والتي أعلنت موقفها المدافع عن فلسطين، وتبديل السفارة الإسرائيلية في طهران، بالسفارة الفلسطينية كاعتراف بمشروعية الحق الفلسطيني، وعمق استراتيجي للمقاومة، واليوم نستدل على أهميته في مواجهة المشروع الصهيوني الغربي، ليشكل حالة قوة، في العالم العربي، والداعم له هي سورية، ومن أهم نتائجه ذلك الانتصار الذي تحقق في الجنوب اللبناني في عام 2000م لترتفع وتيرة الصراع والعداء لسورية وللفلسطينيين، من قبل الصهاينة، وعملت على مشاريع عسكرية في المنطقة لتحطيم القوة المناهضة لها، وهذا ما تم من خلال احتلال العراق في عام 2003 م بعد حصار مرير على الشعب العراقي، ولم يكن الاتحاد السوفييتي بقوته الحالية، وغياب التوازنات الدولية، في مواجهة أمريكا، ولكن المقاومة بدأ يشتد ساعدها في مواجهة الاحتلال الأمريكي للعراق، وبمؤازرة سورية وإيران وحزب الله، حقق الانسحاب في نهاية عام 2011م، وهو العام الذي بدأت فيه أمريكا في مشروع الربيع العربي، وتقديم بعض الحكومات العميلة لها كقرابين للربيع العربي ابتداء من تونس وليبيا ومصر واليمن، وترتطم بجدار صلب في سورية ومواجهة عنيفة وشرسة، وقدمت فيها كل أنواع القوة، وجلب كل حثالات الأرض، ولكنها لم تفلح أمام شعب اختار المقاومة، ولن يحيد عنها قيد أنملة، لأنه يمتلك الحق، وصاحب حق العودة يبدأ من تمسك صاحب الحق بحقه، مهما كلف ذلك من تضحيات، وشعب تربى على الشهادة، وكانت سلوك حياته اليومية، لا يمكن أن ينكسر أو يخسر، ولهذا يحدونا الأمل اليوم ومعنا الكثيرمن الشرفاء الفلسطينيين، والنبلاء من العرب من المحيط إلى الخليج، وعيونهم ترنو إلى الانتصار المدوي الذي صنعته دماء الشهداء، ويكون الجيش العربي السوري هو القدوة والنضال من أجل تحرير كل الأراضي العربية المحتلة وعودة الحقوق لأصحابها.

كل الصراعات التي تدور وتحرك العالم والشعوب بما تحمله من أفكار، ومنها ما يتجسد على الواقع، أو قراءة الواقع، ليصبح أفكاراً يمكن أن تجمع الجماهير العربية على منحى واحد، وهدف واحد، وتحتاج إلى القدوة من قادة وتنظيمات ومؤسسات، فلابد من العمل بشكل واسع في كل الجبهات الإعلامية والدولية والثقافية والقانونية والندوات، لأن خراجها فكري وتوعوي يعود في توجيه الجماهير العربية لاستعادة حقوقها.

> تعمل "إسرائيل" مع بعض الدول العربية لتقاسم المسؤولية، من خلال المشاريع والأحلاف والعلاقات الحميمة فيما بينها.

> يستند حق العودة إلى القانون الدولي المعترف به عالمياً، وغير قابل للتصرف فيه، ومكفول بمواد الميثاق العالمي لحقوق الإنسان.

تعزية

فجع الزميل الشاعر نجدة زريقة برحيل شقيقته في الأسبوع الماضي.

رئيس اتحاد الكتّاب العرب، وأعضاء المكتب التنفيذي، ومجلس الاتحاد، وأعضاء الاتحاد، يتقدمون إليه بخالص العزاء والمواساة، ويرجون الله عز وجل أن يتغمد الفقيدة بواسع رحمته ومغفرته، وأن يسكنها جنان الخلد، وأن يلهم أهلها وذويه الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

ظلمات

• سمر المحمد

الأيام دول بين الناس .. ومن سرَّه زمن .. ساءته أزمان .. والله إذا أعطى أدهش، وإذا أخذ فتش .. وفي زمن أعطاها الله فيه من يسر .. وأغرقها بالرزق والنعيم ... كانت خلاله غافلة عن نعمه، جاحدة .. فتكبرت ..وتجبرت .. حتى ظنت أنها ستخرق الأرض .. أو ستبلغ الجبال طولا ! كانت تستيقظ صباحاً وحشد من الخادمات يحطن بها ...يلبين طلباتها التي لا تنتهي ..إحداهن تهيئ لها الحليب لتستحم به تشبهاً بكليوبترا ..و الأخرى تحضر قناع العسل بالصبار لترطب به بشرتها .. والثالثة تأتيها بالقهوة وعلبة التبغ التي كان ثمنها يكفي لإطعام عائلتين ..وفي كل يوم كانت تأمر بإعداد الولائم لصديقاتها من أبناء الطبقة المخملية ..وتبالغ في إظهار ترفها .. وتغدق المال في مظاهر كاذبة .. وتدعي أنها الزوجة السعيدة المدللة لتخفي حقيقة نفور زوجها منها ..وإهماله لها ..لسوء طباعها التي أفسدها المال ..كانت عاقراً لا تنجب ولم تستطع بمال أبيها – وهو التاجر الحلبي فاحش الثراء – أن تملك قلب زوجها، كانت تأنف النظر إلى العامل الذي اتسخت يداه وهو يجمع أكياس القمامة ويكنس الشارع المقابل لشرفة بيتها .. وتؤذيها رائحة البسطاء ..ممن تمر بهم في أسواق المدينة ..الخدم عندها عبيد لا أحاسيس لديهم ..توبخ ..وتضرب ..وتشتم وتطرد من تشاء ..إلى أن قلب لها الزمان ظهر المجن ..يوم صار والدها من دعاة (الثورة المزعومة) ....فطالت لحيته ..وراح الناس ينادونه بالحاج ..وهو المزواج الذي لم يحج يوماً إلا إلى الخمارات والملاهي الليلية! ثم سرقت أمواله الطائلة من قبل المسلحين الذين خدعوه .. وغدروا به ..واغتالوه بعد خلافات تافهة ..وقد مدهم بالمال والسلاح ..أما زوجها فانقطعت أخباره بعد رحلته الأخيرة إلى تركيا لشراء السلاح ثم وجدت نفسها وحيدة مهددة بالقتل من قبل المسلحين الذين طالبتهم بمال أبيها .. ففرّت إلى مدينة آمنة لا تملك سوى الخيبة! كان أمامها طريقان:

إما أن تبيع جسدها لتعيش أو تعمل في خدمة الناس ..لكنها اختارت أن تصون عرضها ..واليوم يراها الناس على أدراج إحدى البنايات ..تشطف وتنظف .. وتنزل بأكياس القمامة إلى الحاويات مقابل مبالغ زهيدة من المال تتقي بها شر الجوع والبرد ...وتشتري علبة تبغ رخيصة .. وهي تأسف لزمن غرقت خلاله في الظلمات .. وما ظلمتهم فيه الأقدار .. ولكن أنفسهم كانوا يظلمون.

على قارعة الطريق

• إيمان ليلا

أشاهدك.. أراقبك منذ سنوات أعرف عنك الكثير، عملك.. هواياتك.. حتى ملابسك حفظتها وعرفت ما تفضل منها.

الطقم البني والقميص الليموني وربطة العنق بألوان الشجر.

قمصان أخرى ملونة وغير ملونة، كلها حفظتها وأحببتها عليك.

لم تتأخر يوما عن وقت خروجك من المنزل أو عودتك، على الرغم من قرب المسافة. لا بد أن صاحب العمل سعيد بك جداً، تأتي قبله إلى المكتب كي تنظم كل شيء..

وتخرج بعد ساعات. يغادر المكتب باكراً.. يحمل حقيبته الكبيرة، وكأنه يحمل أعباء الدنيا وهمومها، لكن الحقيقة أنه يترك كل شيء لك، تغادر أنت بعد هبوط الليل، يدرك بأنك شاب نشيط مجتهد، متفرغ.. وغير متزوج..

•••

كلمة عازب مكتوبة على جبينك، وعلى كل شيء في شخصيتك، أناقتك، وسامتك، وأعرف أن طريقك ليس مفروشاً بالورود.. وإلا لما كنت عملت في مكتبه بعد انتهاء مدة تدريبك.. هو محام قدير ومشهور.. لكنه عجوز ممل.. فكيف تتحمله؟

أتعلم أنك جذاب جداً، لو أنك فقط قللت من تقطيب جبينك وعقد حاجبيك، هذه الحركة العصبية، تعطيك جدية وحزماً، وتزيد في تجاعيد وجهك فتبدو أكبر سناً، أرى أن الابتسام يليق بك أكثر، عندما تبتسم تبدو أصغر سناً، وأكثر وسامة..

أتعلم..؟ أنت بحاجة إلى امرأة... تعتني بك.. وتنسيك همومك..

فرحت كثيراً.. عندما رأيت تلك السيدة الشقراء تتردد على المكتب.

ربما زميلة جديدة.؟ لكنها تستحق أن تكون حبيبة...

أراها مختلفة عن اللواتي عملن عند ذلك العجوز.. أراقبه منذ زمن وأعلم كم واحدة عملت عنده. كلهن ينهين التدريب ويغادرن دون عودة..

أتمنى أن تبقى هذه.. لتلازمك..

كل شيء فيها يناسبك، جمالها، أناقتها، اجتهادها..

تبدو أثناء العمل جادّة حازمة، ولكن الابتسامة أيضاً تليق بها هي الأخرى..

بعد فترة من عملها.. لا أعلم ما المناسبة التي استغلتها لتهديك ربطة عنق، رأيتها عندما دخلت المكتب تحمل علبة أنيقة، ربطت بشريط أحمر أنيق أعطتك إياها..

وها أنت تضع ربطة عنق جديدة، لم أراها من قبل.. فأدركت أن ذوقها جميل.

أعلم أنك حذر في علاقتك وتعاملك مع النساء.. إنك لم تقم علاقات مع اللواتي عملن سابقاً..أما هذه.. فمختلفة.. تناسبك. لاحظت ارتياحك لها... واهتمامك بها أيضاً..

لا لست متسرعاً.. إنه الوقت المناسب.

فرحت كثيراً عندما رأيتك تخرج فترة الغداء بصحبتها إلى المطعم المجاور.. إنها بداية موفقة..

وهذه الشقراء.. تحسن التصرف.. لم تضع الوقت..

أبدت إعجابها بك.. ولم تكن خجولة مثلك أو مترددة.. إنها ذكية.. حتى المحامي العجوز أعجب بها.. ولكنها لم تعره اهتماماً.. لقد تعلق قلبها.. بك.

كانت فرصة وجودكما معاً في المكتب مناسبة جداً.. عندما تعملان وقتا إضافياً.. تخرجان في وقت متأخر من الليل، تتشابك أيديكما ببعضها.. توصلها إلى نهاية الشارع، لا أعرف عن أي شيء تتحدثان عند الموقف.

أتذكر منذ بضعة أيام.. خرجتما مسرعين، وتعثرت، كادت تقع، أسرعت لترفعها بيدك.. وتضمها إلى صدرك؟

ومن لا يخاف على حبيبته.. حينها؟

أدركت أنك تحبها وهي تحبك حقاً..

انتابتني رغبة في أن أبكي فرحاً.. أو ربما غيرة.؟ ومنذ ذلك اليوم لم تفترقا.. تترافقان لتناول الغداء وتعودان للعمل حتى وقت متأخر.. توصلها.. ثم تعود إلى بيتك..

أصبحت تسهر كثيراً.. تفكر بها، أم صرت تسهر مع كتاب أعارتك إياه؟

اعذر تطفلي، لكن لكل شيء كان واضحاً.. وحده نور غرفتك يبقى مضاءً لوقت متأخر، بيتك في الطابق الثالث، غرفتك في الوسط، رأيتك مرة واقفاً أمام النافذة؟؟، تحمل فنجان القهوة، وتتأمل الشاعر، وتنظر إلى كل شيء.. لكنك لم ترني.. أعلم أنك لم ترني.. ولن تراني..

أم تراك ستراني ذات وقت؟...

لكن بعدها لم أعرف شيئاً.! يا إلهي ماذا حصل.؟

منذ أسبوعين تغيّر كل شيء.. مذ حضر ذلك الرجل غريب الأطوار.. دخل المكتب أمس بيدها، وأخرجها عنوة وأرغمها على ركوب سيارته الفاخرة.. أنت لم تفعل شيئاً، إلا أن الدهشة ربطت لسانك..

قل لي من هو.؟ هل يكون زوجها الذي هجرها قديماً، وعاد إليها عندما علم بعلاقتكما.؟ هل هو طليقها.؟ والدها.؟ صديقها.؟

لو أمتلك الجرأة وأسألك..؟

تستسلم لليأس، منذ أن اختفت تلك الشقراء، لم تعد تعتني بمظهرك وأناقتك لقد صرت متوترا.. تائها.. وتكثر من التدخين..

اعلم أنك أحببتها.. هذه الفتاة المتميزة.. ذات الشعر الأشقر.

كل شيء تغير..

لم تعد تتردد إلى المطعم لتناول الغداء.. ليس لك رغبة في القراءة، لم يبق لك إلا الذكريات المؤلمة..

لو كنت أستطيع أن أساعدك.. لو تراني.. في مكاني المتواضع. سنجلس هنا على ضوء الشارع، الخافت، إن أحببت أبقِ وجهك في الظل.. وقل كل ما تريد..

لابد أنك تملك صوتاً دافئاً.. سأسمعك.. وأسمعك.. وسأضع يدي برفق فوق يدك لأقول لك أنني أفهمك..

لن أتكلم.. ولن أضايقك بهمومي الشخصية، ولن أقاطعك..

يكفيني اعتراف لي.. أنا متأكدة أننا سنتفاهم..

كل واحد منا يعاني من جرح..

ها أنت تتوجه إلي.. بعد خروجك من المكتب ، تعبر الشارع.. بيني وبينك خطوة..

وكالعادة تقول:

- الجريدة.. والسجائر!

تفضل يا سيدي..

وتلقي بالنقود أمامي..

فقط.. وتستدير منصرفاً إلى شقتك الخالية..

لن تراني.. أنا لست أكثر من فتاة بسيطة فقيرة في كشك حقير على قارعة الطريق.

جاك صبري شماس
شاعر الوطن والعروبة

• أحمد سعيد هواش

في شعر الشاعر جاك صبري شماس، نرى الهم الوطني والقومي ظاهراً، نرى ذلك في جميع مجموعاته الشعرية متخذاً من تاريخها المجيد طريقاً واضحاً للسير عليه لإعادة المجد العربي التليد لها، ففي قصيدته: «سيعود مجد الفاتحين»، نقرأ الشكوى مما آلت إليه أوضاع الأمة العربية في أقطارها كافة، لذا يلجأ إلى التاريخ العربي القديم الوضاء يشكو إليه المآسي العربية، فتسمعه الشاعرة العربية الخنساء المعروفة بتضحيتها بأبنائها الأربعة في معركة القادسية وقد جرى بينهما حوارٌ فقال:

أوقفت راحلتي يبعثرني النوى/ لا عم لا أخوال لا حلفاء
ومسحت دمع الكبرياء بخفية/ فاستيقظت لجراحي الخنساءُ
قالت: شقيقي قد سمعتك شاكياً/ فارتجت البطحاءُ والجوزاءُ
فأجابها:
يا «خنسى» يحجب ناظريَّ فجائعٌ/ والصدر قد جاشت به الرمضاءَ
نامت على شرر الهوان كرامتي/ والثائران: الدمع والأهواء

وفي قصيدة «جراح الخابور» التي سميت المجموعة الشعرية باسمها (جراح الخابور) الصادرة عام 1983م، نراه يخاطب نهر الخابور في الجزيرة السورية التي ولد في إحدى قراها، فيراه مستاء حزيناً مما وصلت إليه الأمة العربية من خور وهوان، ويعيد له مكامن الحزن والهوان في بعض دول الأمة العربية وساستها فقال:

لما دنوتُ من الخابور أسأله/ ما حال أمتنا يا أيها لعمرُ
فاستاء مزدرياً سؤالي وخاطبني / أين الوئام، وأن الشمل يا مضرُ
ما عدتُ أحتمل الأهات من وصبٍ/ فالنيل تلفحه النيرانُ والشررُ
ومعظم الأرض قد جفت مدامعها/ لأن ساستها بالسلب قد شهروا

ونرى حب الشاعر الكبير لمدينة دمشق وما ترمز إليه من مجد وفخار وعزة في قصيدته «دمشق العروبة» إذ قال:

بوركت يا شام أنت العز قائلةً/ الله يشهد والأديانُ والبشرُ
على روابيك يعلو المجد مفخرة/ ويصدح الطير والبستان والبشرُ

والشاعر جاك صبري شماس خص فلسطين والقدس الشريف والمسجد الأقصى بأكثر من قصيدة وذلك على نبل وأصالة ووفاء تحلى بها هذا الشاعر اليعربي. هاهو يخاطب المسجد الأقصى من قصيدة «المجد للشهداء»، في مجموعته الشعرية «شيخ المجاهدين الصادرة عام 2005» إذ قال:

يا جامع الأقصى منار قوافل/ يذكي مناها الطهر والآلاءُ
فالقدس لن تحنى زمام لوائها/ مهما تمادى البغي والسفهاءُ
يزهو بها نخلُ العروبة طاهراً/ ويخصبُ الترب السنيّ فداءُ

وفي قصيدة «عرس الوطن» من مجموعته «شيخ المجاهدين» أيضاً يشيد الشاعر بالشهداء الذين لبوا بدمائهم الطاهرة سفر الجلاء الذي غمر بردى ودمشق بالعطر والنور والضياء فقال:

سفرٌ يخط دماءه الشهداءُ/ ويزين عرس التضحيات جلاءُ
بردى يكحل هُدبه ألق الشذى/ ويشعُّ في نُصُر الضفاف سناءُ
والياسمين يضوع بوح نسيمه/ وربى الشآم حدائق خضراءُ
تبهي دمشق محافلاً ومنابراً/ فالفخر ينشد نبله الشعراء

وينهي الشاعر جاك صبري شماس مجموعته الرائعة «شيخ المجاهدين» بقصيدة: «أوراق اعتمادي» إذ يقدم نفسه سفيراً للأمة العربية ينوء بحمل مآسيها وشجونها، وأولها تمزق أقطارها وما أصاب القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك من احتلال وإذلال في ظل سكوت عميق للعالم مما يجري لهما فقال:

ويكاد يقلقني عَـزْق أمتي/ فالقدس تلظى والورى نيامُ
والجامع الأقصى يطوق بالفنا/ والنفس تغلي والقلوب ضرام

وعود على بدء فالشاعر يفتخر بعروبته، وهو شاعر الخابور، وهو يهدي محبته لأمته العربية وللعالم أجمع إذ قال:

أنا شاعر الخابور أمهر كلمتي/والى العروبة صفوة ومقامُ
إن كان لي (بصرٌ) وحَفَّ سناءه/فبصيرتي للعالمين سلامُ
وإذا الدماء، تبجست من جبهتي/ عربية تزهو بها الأعلامُ

تحية للشاعر جاك صبري شماس حادي قافلة الوحدة العربية.

مقتفياً خطا (ابن بطوطة)
(عبد الله المتقي) رحالة يتسكع على صهوة حروفه في أمصار (التوانسة)

•ميرفت علي

تنتمي سرديته (قابس لك منازل القلب) إلى أدب الرحلات تصنيفاً. فها هنا توصيف أنيق للأمكنة وتفاصيلها في الحل والترحال، وكأننا بحفيد (ابن بطوطة) المغربي الطنجي يأبى إلا أن يسير على خطا جده الماجد، شغوفاً بجزئيات المكان وبتلاوينه وتجلياته الجغرافية والاجتماعية والإثنية.. فيبرع في مجاراته أيما براعة.. كيف لا؟ و(المتقي) الشاعر والقاص يمتطي صهوة الحروف ويزجها في معمع الإبداع الأصيل مضموناً وأسلوباً محققاً السبق والأفضلية والجودة وعمق التأثير.

القصص تلخص وقائع احتفالية أدبية مقامة في (تونس) على شرف الكاتب وبعض المثقفين. ويصف فيها يوميات الحدث ووقائعه، نائياً بنفسه عن التقريرية والمباشرة، متكئاً على لغة شاعرية آسرة رشيقة، وروح فكاهية حلوة تحلق بالنص عالياً وتخلق فسوحات مريحة ورحبة لدى القارئ الذي يبدو نهماً للقراءة، متعطشاً للاستزادة، منبهراً بخيال الكاتب الخصب وبقدرته على المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة في تصدير الأفكار وفي استحضار بعض الأمثلة.

وطبيعي أن يستعرض الكاتب المدن والبلدات والمقاهي التي عبرها وتوقف عندها رفاق الرحلة من أدباء وفنانين بأجود ما يكون الاستعراض، فالمنطلق من مطار (قرطاج) مروراً بـ (قابس) و(شنني) و(مطامة) و(رأس الواد) انتهاء بـ (باب البحر) بعد احتفاء أدبي وإعلامي ملفت، يدغدغ شهوة الكتابة والترحال. وخلال الرحلة الاستجمامية الثقافية يعرج الكاتب على قضايا إنسانية هامة مثل:

-التلوث البيئي في (قابس) وسبل معالجته:

(وكما لو رئة ملوثة بالبقايا الكيميائية والبترولية، وبفتات وسموم مصانع القرميد، ولا أحد يكترث بالأمر سوى أقلية هائلة تكتوي بهذا المشهد البيئي، الذي قتل الأخضر، وتسبب في تجفيف الكون المائي الذي كان يحيي قابس "وتابعتها" شنني).

-والتصحر في (شنني) وتطوع المجتمع المدني لمكافحته:

(ولأن الحديث يعني "شنني" وبيئتها الملوثة والمسمومة، صادفنا جمعية "صيانة الواحة" التي تعتبر أقوى جمعية بيئية من حيث الحفاظ على الحياة في هذه الواحة، منهمكة في زرع الحياة في أوصال ما تبقى من أحزمة خضراء، بالرغم من قلة الإمكانات سوى سواعد تونسية وأحيانا عربية وأجنبية تشتغل وبتفاؤل وبلا حدود. في الطريق بين الواحات كان المنظر بقايا الخضرة وأمكنة مهملة، حتى أنه لم يبق من تلك الفراديس سوى الذكريات وتشبه "باقي الوشم على ظاهر اليد")

-وإدانة الإرهاب الذي أفرغ (مطماطة) من السياح، تلك المدينة العجائبية التي نصفها مدفون في الأرض ونصفها عائم فوق الأرض.

(بدت "مطماطة" حزينة الملامح وكما لو عادت إلى جوف الأرض ثانية، أصبحت كالفارغة، وكالكئيبة والمنكوبة، حتى فندق "كسيلة" بدا مكفهراً، ضد ثقافة الموت التي تروج لها بعض الجماعات التي لا تتطهر بحب الله والوطن).

ورغم واقعية هذه الطروحات النبيلة (التلوث البيئي والتصحر والإرهاب) فإنها لا ترخي بظلالها الثقيلة على عاتق النص ولا تعيق انسياب السرد فيه، بل تمر كنسمة منعشة لأنها مشغولة أسلوبياً بمهارة وباحتراف مؤلف مقتدر، يحسن الاحتفاء بالعلم وبالأدب معاً وبالواقع وبالخيال، دون أن يمس أحدهما بمكانة الآخر أو يذهب ببريقه، ودون أن تنتزع أركان القصة ومقوماتها الماتعة الشائقة الموزعة على ثمانية مقاطع مرقمة منفصلة ظاهريا، لكنها حبات لؤلؤ ينظمها عقد فريد ونفيس.

إن الأديب (عبد الله المتقي) في قراءته المكانية والزمانية والفلسفية والاجتماعية للمشهد الجغرافي في قصص (قابس لك منازل في القلب) يقدم نفسه كناقد أدبي إضافة إلى كونه مؤلفا، ويرد على لسانه في القصص:

(و.. يرن هاتف إذاعة تونس الثقافية كي أتجاذب الحديث مع "فاتن" حول القصة القصيرة جدا بالمغرب، وعن جوع لفظها وإشباع معناها، وعن التكثيف والقفلة والإدهاش، والمغرب القصصي والتونسي، وبين أحضان "قابس" التي في خاطري كان لي حوار خاص مع المذيع المرح محمد كشط والمفتون بالسياسي والثقافي، ثم ليلا في ضيافة الشاعر سفيان المسيليني وبرنامجه "مقابسات ثقافية" الذي كان حديثا عن القصة القصيرة وقصيدة الومضة، وقضايا أخرى تعني الملتقيات التونسية والمغربية واقع وآفاق).

وانظر إلى الإشراقات التعبيرية التي ترد في طيات النصوص بعفوية ملحوظة، إذ يتكلم الكاتب عن الأصرة القوية التي تربطه بمضيفه التونسي (لزهر) فيقول:

(فمنذ "توزر" مدينة أبي القاسم الشابي وكعبة الشعر، وفي حضور الشاعر الجنوبي شكري ميعادي الذي غيبه الموت في مشهد درامي حارق، ولم يترك سوى عناده وغيمة شعرية ماطرة، كانت بدايات هذه الأصرة، وستظل تمطر إلى أن ينام القمر).

ويحلل شخصية (لزهر) الأثيرة إلى قلبه قائلاً:

(إن الحديث إلى "لزهر" يشبه الهروب من شراهة الأصدقاء والنوايا الفاسدة، واللجوء إلى أحضان دافئة كما تنانير الأمهات..)

ويعبر بشكل موجز ومكثف عن عشق (زهير) لمدينة (شنني) بما يشي بعمق الارتباط وقدريته بينهما:

(وينتقل "زهير" بنبرة كئيبة ليفتح كنانيش "شنني" التي تسري في كرياته البيضاء والحمراء)

ويصف (مطماطة) التي افتقدت إلى (السياحة المنظمة) فبدت مهجورة منسية وكأنما دفنت كليا في بطن الأرض:

(و.. غادرنا "مطماطة" العجيبة كما لو تشبه امرأة تركناها خلفنا في الجبال كي تحرس عزلة الأمازيغ، وأغنية حزينة تحفظ النخيل والمقابر والفنادق والجنة الأولى والجحيم الثاني)

خلاصة: إن الفضاء السردي في نصوص (قابس لك منازل في القلب) يغري بالولوج إلى عوالم الدهشة والحرفة الأدبية المتقنة العريقة التي حافظ عليها قلة من الكتاب العرب، وإلى هذه القلة النادرة ينتمي قص (عبد الله المتقي) ابن (الصويرة) الفذ.

الأسبوع الأدبي

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطرأعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy
E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني aru@tarassul.sy
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

أعلام

د. عدنان البني

كاتب، وباحث، وعالم آثار، وأستاذ جامعي.

ولد في حمص عام 1926.

يحمل دكتوراه دولة في التاريخ من جامعة القديس يوسف، لبنان (1977)، ودكتوراه دولة في الآثار من جامعة السوربون، باريس (1986) ومنح دكتوراه فخرية في الآداب من جامعة سان اتيين، فرنسا (1977).

• عضو اتحاد الكتّاب العرب.

نال عدداً من الأوسمة الأوربية تقديراً لجهوده العلمية، وكرم من قبل جمعية البحوث والدراسات في اتحاد الكتاب العرب بحفل تكريم نادر المثال بتاريخ 7/2/1999.

من مؤلفاته:

• الفن التدمري - المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية 1962 طبعة ثانية 1972.

• المدخل إلى تاريخ الشرق القديم - جامعة دمشق -1966 طبعة ثانية -1970 وطبعة ثالثة مزيدة وموسعة 1971.

• التنقيب الأثري الحديث- وزارة الثقافة دمشق 1976.

• الجزء الثاني عشر من مؤلف الكتابات التدمرية بالفرنسية (بالاشتراك مع خافييه تيسيدور) المعهد الفرنسي للآثار في بيروت 1975.

• تدمر والتدمريون - وزارة الثقافة - دمشق 1978.

• تدمر، أثرياً، تاريخياً بالاشتراك مع الأستاذ خالد الأسعد 1979، طبع حتى الآن ثلاث طبعات والعديد من الطبعات بالفرنسية والإنكليزية والألمانية واليابانية والايطالية.

• نساء على دروب تدمر- دار سومر- دمشق 1987.

آخر الكلام

من مقام الوطن ١

أ.محمد حديفي

لإشراقة الصباح في عينيك البهيتين لون آخر، ولضوع الياسمين على شرفات منازلك الوادعة حضور آخر، ولاستراحة التاريخ رسوخاً فوق سهولك وهضابك بهاءٌ آخر.. يا أنت يا نسغ الملاحم وأجنحة القصائد الباذخات يا سورية...

لأنك الشجر الفاره الاخضرار، والمجد المتربع ثباتاً فوق ناصيات الجبال، لأنك الصدق والوعد والثبات والوضوح، لأنك بوابة النور المطلة على ربا الجولان وبطاح فلسطين، ولأنك تمترست دهراً طويلاً خلف حق واضح ساطع قاطع كاندلاع الشمس، لأنك كل هذا أهدر الغزاة دمك، وهموا لاستباحة ترابك الطاهر، واختلقوا الحجج والذرائع الواهيات، ثم تقاطروا جراداً من جهات الكون يحملون الموت في جعب تزودوا بها من الذين كنت تطلقين عليهم ذات زمان لقب الأشقاء، وترفعين الصوت عالياً للدفاع عن قضاياهم ومصالحهم التي كنت تظنين طيبةً ونقاءً أنها مصالح مشتركة تخص الجميع، وتتركين حدودك مشرعةً يدخلونها متى أرادوا وساعة يشاؤون ظناً بأنهم يحملون صفاء السريرة، ونبل المرامي والأهداف، وفي عروقهم مع النبض يسري دم العروبة والإسلام النقي الصافي الذي لم تشبُهُ شائبة الحقد وكره الآخر وإلغاء وجوده، وفي نهاية المطاف إفناؤه وقتله...

يا سورية الصبر والثبات والإيمان والنقاء، يا وطن الشهداء والقديسين، يا روعة الماضي وبهاء الحاضر وسطوعه وأنفته، ها أنت تواصلين السيرصعوداً في دروب المجد، وتعيدين كتابة التاريخ بعد أن ارتديت الغيم شالاً كي تهطلي مطراً يروي عطاش الأرض، ليدركوا من أين يأتي الخير كل الخير لكل الذين أرادت قوى البغي والطغيان أن تميتهم عطشاً، وتستمطر الدمع قسراً من مآقي العيون، لتلبس أوطان الضياء أردية الحزن المقيم وشاحاً من الذل والانكسار...

ست سنوات مضت أو تكاد، وجراح السوريين راعفةٌ، وقلوبهم مسكونة بالحزن والوجد، وعيونهم يتجول في محاجرها الدمع، وهم يكابدون قسوة العيش، ومرارة الفقد، وغربة الروح بعد أن قذفت بهم الحرب الظالمة إلى أرصفة المدن الغريبة والبعيدة تاركين مدارج الطفولة، ومرابع الصبا، حيث تُعتصر الروح، وتنكسر الأحلام ويسوَّد الأفق...

ست سنوات مضت أو تكاد والسوريون الشرفاء القابضون على تراب الوطن كمن يقبض على الجمر يدرؤون عن أنفسهم ويلات الحرب وحقد الوحوش الذين جاءوا متعطشين للدم، تدفعهم غرائز ورثوها عن أكثر الحيوانات شراسة وعداءً في الكون حتى الحيوانات تأبى في كثير من الأحيان أن تقدم على ما أقدم عليه هؤلاء القتلة في كثير من الأحيان، وعديد من الأماكن...

ست سنوات مضت أو تكاد وأبطال الجيش العربي السوري رجال الله في الميدان، وأعوانهم من الأصدقاء والشرفاء يواصلون الليل بالنهار في أكثر الأوقات قسوةً وبرودةً ليدافعوا عن الوطن وترابه، ونصب أعينهم هدف واحد، وهو القتال ثم القتال، حتى يتطهر تراب الأرض من أعداء الأرض والإنسان ويهنأ الشهداء في مراقدهم، وتعود سورية كما كانت وطن الحضارات، ومعقد الآمال، وبر الأمان لكل مضطهد وطريد...

لم تترك الولايات المتحدة الأميركية، وأعوانها في الغرب من مستعمرين حاقدين، وعملاؤها في المنطقة من صهاينة وسعوديين وقطريين وأتراك وسيلةً واحدة من وسائل القتل والدمار والإبادة إلا واستعملتها لإركاع سورية والسوريين فزودت طائراتها بكل ما هو كفيل بالإبادة الجماعية، ووضعت العراقيل في طريق أية محاولة تفضي إلى الهدوء والسلام من أجل استمرار الحرب على سورية وأهلها الآمنين الذين كانوا مضرب المثل في تكاتفهم وتعاضدهم وتعايشهم أخوة فوق تراب هذه الأرض التي تعطي لتطعم الجميع، فلا أحد يطمح في أملاك الآخر، ولا أحد يحمل حقداً أو ضغينة تجاه الآخر، لا يسأل أحدهم الآخر لأي طائفة ينتمي لأن انتماءهم الحقيقي إلى أمهم الرؤوم سورية وهذا العمري أقدس وأنبل الانتماء...

وقد حرصت الولايات المتحدة الأميركية وركيزتاها في المنطقة الكيان الصهيوني، والعثماني الهارب إلى الأمام « رجب طيب أردوغان» إلى إطالة أمد الحرب على سورية لأنهم المستفيدون الوحيدون منها ففي إطالتها إضعاف لسورية أولاً أمام الكيان الصهيوني، وابتزاز الجهلاء والأغنياء والعملاء من العرب أمثال السعودية وقطر واللتين تتربعان على أكبر مخزون نفطي في العالم لسلب هذه الثروة، ودعم اقتصادها، وتشغيل معاملها، ثانياً وهذا ما حصل بالفعل، فسورية انشغلت بالحرب على أكثر من جبهة، وبنيتها التحتية دُمرّت، وأهلها تشردوا في بقاع الأرض، وعجلة مصانعها التي نُهبت في مجملها توقفت عن الدوران، والأهم من كل ذلك تجذر القلق والرعب في نفوس السوريين بينما الكيان الصهيوني يعيش فترةً من الهدوء لم يسبق لها مثيل، وكيف لا وأعداء هذا الكيان التاريخيون منشغلون الآن بدرء الخطر عن سورية التي هي مصدر قلق وخوف الصهاينة منذ أن زرعهم الغرب الاستعماري قاعدةً متقدمةً له في الأرض العربية ورأس حربة موجهة لقلب سورية وأعوانها الذين يرفضون وجود هذا الكيان ويعتبرونه دخيلاً وغاصباً لأرض ليست أرضه ولا أرض أجداده كما يدعي، وإنما هو صنيعة استعمارية بامتياز اغتصب أرضاً وشرد سكانها الآمنين في بقاع الأرض قاطبةً وانبرى يوسع أحلامه لتشمل السيطرة على ما تبقى من أرض عربية استعصت على محاولته لمد الجسور معها وابرام الاتفاقيات بينها وبينه سراً أو علانية كما حصل مع السعودية وقطر وغيرها من الدول العربية التي ورث حكامها الخيانة والعمالة أباً عن جد....

ورغم الذي حصل وما قد يحصل مستقبلاً، فسورية الحق والمجد والثبات والصمود ذاهبة إلى فجرها لأنها صانعة الحق والصدق والثبات، وليس أدل على ذلك من هذا بدأنا نلاحظه الآن من عودة الوعي إلى بعض الذين غُرّر بهم من السوريين، وباعوا أنفسهم رخيصةً لأعداء هذا الوطن، وحينما لاحظوا أن لا حضن أدفأ من حضنك، ولا قلب أحن من قلبك عادوا يستجدون عفوك وصفحك وغفرانك، وكعادتك المتجذرة نقاءً في شراييننك فتحت ذراعيك لتستقبليهم رغم سوءاتهم وعقوقهم، وربتّ على أكتافهم وقلت: أنا أمكم الرؤوم، والأم لا تعرف حقداً ولا تعرف ضغينة، فيا صاحبة القلب الكبير والحضن الدافئ كوني بخير.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول:
أ.د. نضال الصالح
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير:
أ.محمد حديفي

مدير التحرير:
د. حسن حميد

هيئة التحرير:
د.سليم بركات-سوزان إبراهيم
- غسان كامل ونوس.فادية
غيبور-د.يوسف جاد الحق

الإشراف الفني:
نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني:
مها حسن

الشهيد.. كرامتنا

"شهيدنا كرامتنا" عنوان المهرجان الذي أقامه فريق عشاق سورية "حملة سورية لنا" بالتعاون مع مديرية ثقافة ريف دمشق في قاعة المحاضرات بالمركز الثقافي العربي في مدينة جرمانا.

وتضمن المهرجان نصوصا شعرية وقصصية ألقاها عدد من الشعراء والكتاب تكريما لأسر شهداء الجيش العربي السوري وشخصيات أدبية وإعلامية ساهمت في التصدي للإرهاب والفكر التكفيري وهم الشاعر محمد حديفي والأديب عدنان كنفاني ورئيس اتحاد الناشرين هيثم الحافظ وعضو مجلس الشعب الإعلامي والكاتب نضال حميدي.

وقدم فريق عشاق سورية في بداية المهرجان لعضو المكتب التنفيذي في اتحاد الكتاب العرب الشاعر محمد حديفي أمانة الشهيد التي تتضمن وصيته إلى الأدباء بالمثابرة على مقاومة التكفير والإرهاب ومحاربة الغزو الثقافي ليلقي بعدها نصا شعريا بعنوان "من مقام الوجد" محملا بالعاطفة الإنسانية والوطنية وبالدلالات البنيوية التي انتقاها في تركيب نصه الشعري المفعم بحب الوطن الذي تخلله ألم الغربة ورحيل الأحباب فقال.. "ما عدت أملك من مقام الوجد غير قصيدة.. حفرت حروفا في جبين الموج.. دربا.. للضياع.. بالأمس كنتم تملؤون البيت ألحانا.. وشدوا للضياء..يا لسحر النغمة الجذلى على حبل الغناء.. واليوم صرتم في بلاد التيه مثل الغرباء.. وطن يكابد وهو يرسف بالمحن.. آه وآه ثم آه يا وطن".

ثم ألقى الشاعر عدنان كنفاني نصا شعريا بعنوان "لن ينطفىء الياسمين" تجلت فيه دمشق كعنوان ورمز للنضال عبر تفعيلات نصه المتصاعدة مع ألمه وأمله وتطلعه لاستمرار النضال فقال.. "دمشق أيا أمنا الخالدة.. عليك السلام.. وقفت ابارك غيم السماء يظل مآذنك الشامخة.. الله أكبر نداء يجلجل ما زال منذ القديم.. نبي يبارك جوريها.. ومنذ أفقت على الحب.. أبارك فيك النبوة والياسمين".

وألقت الكاتبة نبوغ أسعد قصة بعنوان "الحاج رياض يقاوم في حلب" تحكي واقعة جرت خلال سنوات الازمة عن رجل طاعن في السن عاد إلى سورية بعد غياب استمر عشرين عاما ليهب أولاده وماله لمقاومة الإرهاب حيث استشهد أبناؤه الثلاثة على يد التنظيمات الإرهابية في دير الزور وحلب.

وأكد المكرمون أن كل ما يقدمونه يعد شيئا بسيطا أمام تضحيات شهداء جيشنا الباسل الذين افتدوا الوطن وأهله بأرواحهم مبينين أن التكريم حافز للاستمرار في صناعة ثقافة المقاومة والنضال من أجل سورية وحضارتها وللتأكيد على أن السوريين قادرون على حماية ثقافتهم وتاريخهم الحضاري الطويل معربين عن تقديرهم لفريق عشاق سورية في حملته التي تسعى إلى الارتقاء الثقافي ومواجهة التطرف.

واعتبرت مديرة ثقافة ريف دمشق ليلى الصعب أن إعلاء شأن النشاط الإبداعي خلال الحرب الإرهابية يرسل رسالة للخارج والداخل بأن حجم التضحيات التي يبذلها السوريون دفاعا عن الوطن وتصديا للإرهاب لم تثنهم عن صناعة المنتج الثقافي وعن الاحتفاء بمبدعيه.

وعن رأيه في تكريم الشخصيات الأدبية والثقافية قال الشاعر الطبيب نزار بني المرجة.. "حققت المجموعة الثقافية المكرمة الى جانب ذوي الشهداء الأسس الثقافية والوطنية التي تدل على إيمان السوريين والجهة المنظمة للمهرجان بأن تلاحم الفكر والسلاح يصنع النصر".

أما مؤسس عشاق سورية لؤي زهر الدين فأكد أن أي ثقافة خلال الحرب على سورية لا تتجه ضد التكفير والإرهاب هي باطلة ومن واجبنا الحفاظ على كرامتنا ووطننا لافتا إلى أن تكريم الأدباء وذوي الشهداء ما هو إلا تعبير عن موقف الشعب السوري الذي ساند منذ اللحظات الأولى جيشه الباسل في دحر الإرهاب وفكره التدميري الإقصائي.